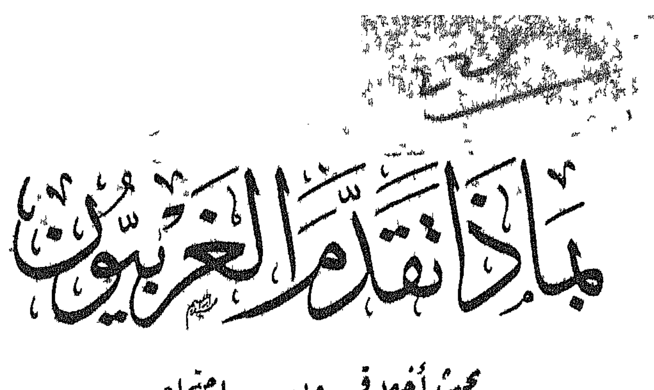


بحث أخلاقي ودرس اجتماعي

بقلم

محمد علي ابراهيم لقمان

المدني

مطبعة الشورى بمصر

بماذا تقدم الغربيون

بحث أخلاقي ودرس اجتماعي

بقلم

محمد علي ابراهيم لقمان

العدني

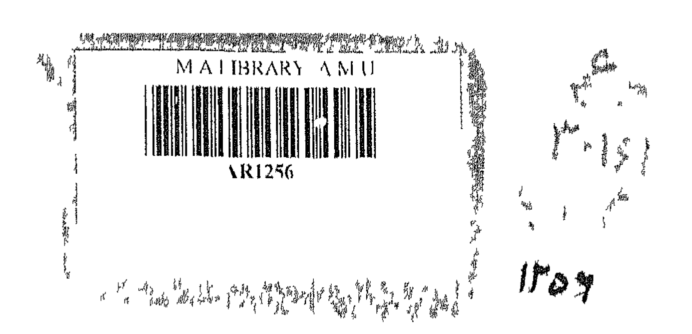
مطبعة الشورى بمصر

Presented by the author to:
the Lytton Library
Muslim University
Aligarh 18/7/36
[illegible]



رسم المؤلف

محمد علي ابراهيم لقمان



الاهداء.

الى الشرق — مهد التمدن

الى الجزيرة العربية — مهبط الوحى

الى عدن — وطنى المحبوب

الى والدى ومهذبى

على ابراهيم لقمان (خان بهادر)

عدن — محمد على ابراهيم لقمان

كلمة أمير البيان

لما بلغت مسامع عطوفة المجاهد الاسلامى الأكبر الأمير شكيب ارسلان خبر وضع هذا الكتاب ، وكان عطوفته يحسن ظنه بالمؤلف الذى يعد نفسه من أبنائه المخلصين ، تلطف علىّ بهذه الدرة السنية قال ادامه الله :

اتصف أهالى اليمن برقة الأفئدة كما جاء فى الحديث ، وبشدة الذكاء وشفوف الحس كما أجمع الناس فى القديم والحديث ، وان من الأمثلة البارزة على هذه الحقيقة فى هذا العصر ما نقرؤه فى الأحايين لحضرة الكاتب البارع الآتى بالبدائع السيد محمد على ابراهيم لقمان الذى لايزال يهدى اللغة العربية وابناءها من نفثات قلمه ما يسحر الألباب . ولا عجب أن تنسب الى لقمان الحكمة وفصل الخطاب . فما شئت فى انشائه من احكام سديدة ، ونكات فريدة ، ومعان رفيعة وعبارات سهلة منيعة ، واطلاع وافر ، واحاطة تعد من النوادر . ولقد بلغنى انه كتب فى اسرار تقدم الغربيين كتابا هو تحت الطبع فهنأت مطالعى ذلك الكتاب بما سيجدونه فيه من الحقائق بأحسن الاساليب لأنى وان كنت لم اطلع على هذا التأليف حتى الآن فانى اعلم ان كاتبه ممن يصيب المحز ويطبق المفصل ، وانه اذا رمى قرطس ، واذا حبر جاء بالطراز الأنفس . فقياسا على ما سبق يمكننى ان احكم ان هذا الكتاب فذ فى بيانه وبرهانه ، والمكتوب كما قيل يعرف من عنوانه .

جنيف ٢٣ ربيع الثانى سنة ١٣٥٢ هـ — شكيب ارسلان



كلمة المؤلف

ان امتلاك اوروبا لناصية الشرق يجعلنا ننظر اليها نظر الاكبار الممزوج بالخوف والاحترام ، وماكان ذلك الا نتيجة جهاد عيف قام به الاوربيون منذالف سنة لتوطيداقدامهم فى ربوع المسكونة واسعاد أوطانهم بالتسلط على مرافق العالم وخيراته لبلوغ اوج الكمال فى التمدن البشرى . وهناك اسباب عديدة مكنت اوروبا من الرقى المدهش الذى وصلت اليه وأهمها فى العصور الأخيرة انحلال الرابطة بين الشعوب الشرقية . وإنى فى كتابى هذا لا أحب أن اخوض غمار البحث فى الأسباب الطبيعية والجغرافية التى هيأت لأوروبا هذا النجاح ، لأن العلماء قد قتلوا ذلك الموضوع درساً ونقداً رغم ان تلك الآراء لاتزال عرضة للجرح والتعديل ، وقد أدلى بدلوى بين الدلاء فى آخر هذه العجالة ، ولكن محور البحث فيما سأقدم عليه ، هو أخلاق الاوربيين التى مكنتهم من التسلط على الشعوب والفوز فى مضمار الحياة والوقوف أمام نكبات الزمان وقوف الرواسى ، كل ما اضمحلت فيهم دولة قامت على أنقاضها دولة أخرى . وهذا التاريخ شاهد على ماأقول . فان أكثر دول اوروبا قداستعمرت أملاكا واسعة فى العالم . وكل دولة بدورها اضاعت ذلك الكنز . وها نحن نرى انكلترا وفرنسا وايطاليا وروسيا وهولندا على الميزان . وسنرى فى القريب العاجل ان يك فى صالح البشرية بقاء المستعمرات فى ايدى المستعمرين ام لا ، وهل الدول المذكورة صالحة للسيطرة عليها ام غير ذلك ؟

ان الموضوع الذى أخذت على عاتقى الكتابة فيه وعر المسالك ، كثير الاغوار ، ولكنى سأقول كلمتى المقرونة بحسن النية مستنداً على ملاحظاتى الشخصية للأوربيين

الذين عشت معهم السنين الطوال من انكليز وأفرنسيس والمان وروس وطليان وبلجيك وهو لا نديين ودانماركيين ونمسويين واسبانوليين وغيرهم ، ومستعينا بما طالعته فى كتبهم . وأنا اليوم فى العقد الرابع من العمر قضيت أكثره بين الاوربين لاأنفك ألاحظ اخلاقهم عند كل كلمة ولدى كل بادرة ، ولهذا لن ابحث فى أى خلق يشترك فيه الاوروبى والشرقى ، بل سيكون همى هو ذلك السلوك الذى صار أظهر ما يكون فى الافرنج والذى بسببه نجحوا نجاحا بهر العالم المتمدن ولا أقول ان الشرقى تنقصه هذه السجايا ولكنه نسيها وتعودها الاوربى فصارت فيه غريزة . سواء فى ذلك الصغير والكبير والصعلوك والأمير رجلا كان أو امرأة ، على حد سواء . ومرماى هو أن يتحلى بهذه الاخلاق أبناء الشرق فيبنون مدنيتهم على انقاض الثقافة الأوربية الزائلة والحضارة الافرنجية المتهدمة . لأننا والحق يقال أمام حادث تاريخى قد يعيد لنا ذكرى سقوط الاندلس وقيام أوربا . فعسى أن يقوم الشرق فى ساعة احتضار الغرب باستعادة مدنيته وحضارته

وقد برهنت الحبشة في أواخر القرن الماضى على قوتها عندما وقفت فى وجه ايطاليا تمنعها من اتخاذها هندا اخرى ، كما أظهرت اليابان ضعف روسيا فى سنة ١٩٠٥ وكما أثبت الشرق أنه قادر على الاحتفاظ بكيانه عند ما تقهقر اليونان أمام الأتراك فى حرب الأناضول الأخيرة وحرج الانكليز فى الاستانة ولا حاجة الى ذكر أسباب الحرب العظمى وما تدل عليه من الشقاق بين دول أوروبا بأجمعها

محمد على ابراهيم لقمان

— — —

كيف تقدم الاوربيون ؟

إن هــذا السؤال وايم الحق لجذاب يستهوى النفوس الظامئة الى سماع الجواب ، كيف لا وتحت هــذا السؤال المعجز تنطوى سير أعاظم رجال التاريخ وتتلاشى حياة كثير من أمم العالم ، ويضع بين طياته تاريخ دول كانت فيما مضى تقول وقولها الفصل ويتضاءل أمامه عمــل أعظم جبابرة البشر ، وأى عظمة تضاهى اليوم عظمة أوروبا ، ومجدها وقوتها الهائلة التى تزلزل جبالهــا الراسيات ، ويقف الرعد القاصف عندها واجمــا ، وتستــكن الصواعق ويهــدأ ثأثر البراكين ، لئلا يعمل ذلك الدماغ الاوروبى الهائل مبتــكر الــكهرباء والبخار واللاســلــكى والديناميت والطيارة والمدفع ، فيخلف من الأثير قوى تذهب بتلك الظواهر الطبيعية الى بيــداء الزوال ومهواة الاضمحلال ! !

يستغرب المرء كيف ان هــذا الانسان الأوروبى الذى لايخرج عسلا كالنحل ، ولا مسكا كالغزال ، ولاحريرا كدودة القز ، ولاسما نقيعاً كالأفعى ، هذا الانسان الضعيف المعرض للأمراض الفتاكة من حمى وجــدرى وطاعون وأوبئة عديدة قــد أخضع الطبيعة وأجبرها على أن تخدمه خدمة العبد لسيده حتى شارك الطير فى ملــكوته ، والحوت فى أعماق بحــاره ، والشرق فى خــيراته ، دانت له الرقاب ، وعنت العباد وتصاغرت النفوس أمام هــذا المخلوق الذى لايعرف للمستحيل معنى ، ولا للاســكلال مرادفا ، وماذلك الا لأنه خرج من قيود الرجعية الى ميادين العــلم والعمل ، فتعلم اللغات على اختلافهما ، وأخذ الحــكمة أنى وجدها ، ونشر العلم وعظم رجاله ، وكرم أبطال التاريخ واحترم النظريات العلمية ، وخلع رداء الجمود ، وفضــل أمته على سائر الأمم ، وقرر انه أشرف الناس طراً ، وانه عين الوجود والمقصود من التــكوين ! !

جاء الافرنجى الى الشرق فــلم يقتد بتلك العادات التى كانت منتشرة بين بعض النــاس متى وجدها لاتلائم ذوقه ولاتوافق مشربه ، ولــكنه أخذ عن الشرق الفلسفة والحــكمة والأدب والتصوف والرسم والنقش والعمارة وغير ذلك ، وهكــذا ميز بين الطيب والخبيث ، وعمــل الشرقى بعكس ذلك ، فتقــدم الغرب وتأخر الشرق ، وأعظم بلوى أصابت المسلمين هى انتشار شرب الخمر بين طبقاتهم لأن الــكحول فى

جسم المسلم لاينهضم فيؤدى بحياته ، أما الافرنجى فمذهبه الاعتدال فى كل عاداته الا فى الضغط على من يسودهم فانه فى ذلك المضمار لايجارى ولا فى الخروج عن حد المألوف . ولله غوستاف لوبون حيث يقول « ماعرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب » فانهم جلبوا السعادة للممالك التى فتحوها أما أوروبا فجلبت على الشرق التعاسة وأخرت سير التمدن فيه اجيالا عديدة ولولا الاستعمار لكان الشرق كله كاليابان على الأقل .

نظام المدارس

من أهم أسباب رقى الأوربيين نظام المدارس ووسائل التربية فيها وتعليم البنات على وجه الخصوص واليك التفاصيل :

ان أعظم ما يؤثر على الانسان فى حياته هو خلق والديه والمدرسة التى ينشأ فيها ، ثم البيئة التى يسكنها والعقيدة الدينية التى تتغلغل فى أعماق نفسه . وأما عند ولادته فان دماغ الطفل يكون عبارة عن صحيفة بيضاء تنطبع فيها وترتسم جميع حوادث الحياة من أفراح وآلام ، وأوروبا تجعل بنيها يعتمد كل فرد منهم على نفسه ولهذا فان أكثر الأطفال يدخلون المدرسة فى عهد الطفولة ولا يفارقونها الا الى ميادين الكفاح .

ان أول ما يعتنى به المدرسون فى المدارس والكليات والجامعات الأوربية ، هو تهذيب أخلاق التلامذة وافهامهم معنى الحياة وماهم مقدمون عليه من نضال وتنازع ، فيأخذ الطفل عن أساتذته دروساً فى شتى الفنون والعلوم ، وقلما تجد فيهم شاباً غير ملم بقسط وافر من علم النفس ، كما تجد المعلم يملى على تلامذته العلوم الكثيرة ويشوقهم الى الارتشاف من مناهلها العذبة مما يجعل أنفسهم فى تعطش مستمر ، وكذا فى المدرسة يتعلم الناشىء كيف يكون معتمداً على نفسه عاملا بقول الشاعر :

وانما رجل الدنيا وواحدها   من لايعول فى الدنيا على رجل

ونظام التعليم فى أوروبا مبنى على أسس علمية كما هو شأن الأوربيين فى جميع المواطن فقلما تجد معلما غير متخرج من دار المعلمين حاملا شهادة العالمية فى

أصول التربية والتهذيب وعلم النفس وعلم الصحة ، فهو يعرف كيف يعلم ومن يعلم وما يعلم . ويجد العلوم والفنون تعلم على اختلافها وتعددها ، فيختار منها المرء مايلذ له منها وما يلائم مشربه ، وكذا قل عن الصناعات والأعمال . والمدارس تحتوى على ميادين الرياضة ، والمكاتب الحافلة بأثمن الكتب والمتاحف ، ودواوين المحاضرات والمناظرات ، وأماكن العبادة ووسائل النزهة وترويح النفس بالنظر الى الصور المتحركة والتمثيل وسماع الموسيقى وهلم جرا ، فيتعلم التلميذ فى المدرسة كل ماهو بحاجة إليه فى الحياة القادمة . حتى اذا خرج الى ميدان العمل لاتفاجئه صروف الزمان ولا كوارث الدهر ، اذ يكون قد اعد لها العدة ، ولا يكون كذلك السجين الاميريكى الذى حكم عليه بالحبس المؤبد فلبث فى السجن ٦٠ سنة وعند ما افرج عنه مدير سنغ سنغ . خرج فوجد عالما غير عالمه ورأى هرجا ومرجا وخلقاً غيرمن عرف . فعاد ادراجه ولسان حاله « ليس هذا بعشك فادرجى » وذهب يتوسل الى مدير السجن ان يعيده الى السجن ! وهذا هو حال الشرق اليوم حيث يبقى التلميذ فى المدرسة كأنه سجين ، واذا قذف به فى مهامه الحياة وجد نفسه فى بحر خضم تتقاذفه أنواؤه وتهزأ به أمواجه ، وهو غصن رطب لا يقوى على مقاومة ذلك التيار الجارف فيتم ، ولا يقدر على القيام من كبوته ، والده جاهل وأمه أجهل وبيئته متأخرة وذووه لا يفهمون معنى الحياة ، خلافاً للأوروبى الذى يجد أما هذبتها الجامعات وثقفتها الحضارة وعلمتها التجارب ونورتها الملاحظة ، فتكونت منها قوة مغنطيسية تؤثر على أبنائها فتجعلهم رجالا عاملين يخضعون العالم بأسره لأرادتهم ، ويجد أبا يغامر بالحياة حبا بالمجد ويضحى بالروح حباً بالوطن ، ويأتى بالمعجزات فى أثناء اقدامه ، واذا خرج من الدار الى الاصدقاء وجدهم فى ميادين الرياضة يتبارون أو فى النوادى يتناظرون أو فى المتنزهات يقرأون الصحف ويتبادلون الآراء ، يقفون خطباء فى كل مجتمع فتصفق لهم الجموع ، يالله من قوم هم هم ! أفبعد هذا زيادة لمستزيد ؟ نعم ! ولكن الباع قصير والبضاعة مزجاة ، بيد أنى سأعمل قصاراى لأقول الحق « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » .

هذه اليمن وتلك الحجاز ، وطف فى الجزيرة العربية أنى أردت ، هل تجد جامعة وكلية أو حتى مدرسة على الطراز الحديث تخرج علماء كعلى بن أبى طالب أو عبد الله بن عباس أو زيد بن حارثة أو عبد الله بن عمر أو أنشتاين ، أو أطباء كابن سيناء أو باستور ، أو فلاسفة كابن رشد والفارابى وبرناردشو ، وتاريخيين

كأبن خلدون وابن خلكان والدكتور ولز ، أو قوادا كخالد بن الوليد أو عمرو ابن العاص أوهندنبرج ، أو ملوكا كالرشيد وعبد الرحمن الأول الأندلسي وأكبر خان وصلاح الدين الأيوبي ؟ أمهل فيها نوادي يؤمها مؤسسوا النهضات كجمال الدين الافغاني ، والشيخ محمد عبده وصن يات صن وغاندي والامير شكيب أرسلان وأمثالهم ؟

إذا أردت أن تبكي على العرب فابك عليهم بملء عينيك ، فاما أن يقوموا اليوم وإما أن لايقوموا أبداً

إن العقيدة الدينية فيأوروبا بوجه الاجمال قد ضعف حبلها وتفككت عراها ، وما ذلك إلا لأن رجال الاكليروس أرادوا إخضاع الامم للجهل و إبقائها في دياجيره ، ولذلك حاربوا العلم وأهله حتى خرج عليهم لوثير الشهير وتبعه كالفين ، وكانت تلك الحركة الاصلاحية التي هذبت النفوس وأبرزت رجالا هم غرر التاريخ الحديث في الأدب والفلسفة والعلوم على اختلافها والفنون جميعها أما الديانة الاسلامية فهي والحق أحق أن يتبع الشريعة السمحاء والمحجة البيضاء التي تشجع على ارتشاف لبان العلوم ولا تقف حجر عثرة في سبيل رقي الانسان بل تدله على طرق التقدم وتأمره بالاستعداد وتمنحه الحرية المطلقة في عقيدته ؛ لأن الحرية وحدها هي الكفيلة بانتصار الحق وتقدم العالم نحو الكمال .

تعليم البنات

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

ان مناخ أوروبا وطرق التربية والتهذيب فيها جعلت كل فرد يعتمد على نفسه سواء الرجل والمرأة ؛ لأن الحياة تقوم هنالك على مبدأ التعاون والتعاون لا يكون إلا إذا كان هنالك اعتماد على النفس وعدم تواكل بالمرة ، والاوروبي محتاج إلى المرأة لمساعدته في كسب العيش لأن أوروبا على وجه الاجمال لا تقدر أن تعتمد على حاصلاتها لتقوم بأود بنيها اللهم الا روسيا وألمانيا نوعاً ما خلافاً للشرقي فانه في الصين والهند لايحتاج الى شيء من الضروريات ، ورغم أن العربي في نجد والحجاز محتاج لكثير من لوازم الحياة وكذا في بعض أقسام اليمن فان البلاد قادرة على القيام بحاجة بنيها على وجه الاجمال ، وبما أن سكان هذه الممالك قليلون فان الحاجة لاتدعو

الى استخدام المرأة كما هو الحال فى أوروبا ، واذا رجعنا الى التاريخ وجدنا أن الصين والهند فى العصور الغابرة لم تستعمر البلدان كما فعل العرب والفرس الذين كانوا فى زمن ما من كبار دول الاستعمار ، وقد كان الحجازيون حملة ألوية الدولة العربية للحاجة الداعية الى المستعمرات من جهة ولنشر الثقافة الاسلامية فى جهة أخرى ؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث من بينهم

بعد هذه المقدمة يتضح للقارىء الكريم أن عمل الاثنين هو أجدى وأنفع من عمل الفرد ، وأن المرأة اذا قامت بخدمة الرجل ومساعدته فانها بذلك تمكنه من القيام بجلائل الأعمال ، وانى لا أجد فى المسلمين من يحتج بسبب معقول على عدم نشر المعارف بين النساء سوى الخوف من تبرجهن وخروجهن عن حدود الأدب واللياقة ؛ لأن مدام كورى مكتشفة الراديوم لاتزال تقية نقية وأن العلم لم يزدها الا ورعاً وشرفا ، وانى أذكر قومى بأن التعاليم الدينية الاسلامية قمينة بحفظ نسائنا من جميع الموبقات اذا علمناهن كما يجب لأن الأخلاق الفاضلة لاتكتسب بمجرد الحجاب وراء الحيطان أو بتغطية الوجه اذا كان العقل فارغاً من كل النظريات الأخلاقية الكاملة ، ولا أقول دعوا النساء سوافراً لأن الحجاب هو سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمره جدير بالاتباع خصوصاً بعد أن رأينا ما أصاب أوروبا من الانحطاط بسبب خلاعة النساء ، لكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا بتعليم النساء وقال لنا : انهن سيتعلقن بأعناقنا يوم القيامة لتركهن يرسفن فى أغلال الجهل ، وعار على المسلمين أن يشاهدوا تقدم الاوروبيين تقدماً استأسر الشرق وخلب لبه ويتركون بعد ذلك أمهات الغد فى ظلمات فوقها ظلمات .

عار علينا انما عار على هذا الزمن

أى فرق بين الحيوان الأعجم وبين زوجة تخاطبها عن الحياة فلا تفهم منها شيئاً ، ليت شعرى أى مصاب أعظم من مصاب الأديب اذا وقع فى أحضان من لاتفهمه ولاتقدر شعوره ، وأى سعادة أعظم من سعادة ذلك المهذب حين يصل البيت فتتلقاه شريكة الحياة بكلمات تؤاسيه وأخلاق تسليه ، وقد رتبت دارها وجهزت القوت ونظمت دروس بنيها وسمعتهم يقرأون أمامها وأتت زوجها تروح عنه الكرب بالشعر والبيان تستشهد بشعر شوقى وبيان حافظ وخيال المنفلوطى وحكمة المعرى وبلاغة المتنبي وفصاحة القرآن ، وتستشيره فى أحوال الدنيا وتسأله عن حوادث العالم وعن أعمال ادارته وتساعده قليلا فى حل ما اشكل عليه من معضلات وهلم جرا .

ليت شعرى أيأتى ذلك اليوم ويتحقق هذا الحلم أم نحن فى سبات الموت غرقى ؟ بشر الشرق وبشر المسلمين انه اذا جاء هـذا اليوم فلا يكون الا والشرق مرة أخرى سيد الغرب ، والتاريخ يعيد نفسه .

بلغ الامام القاسم من أئمة صنعاء اخبار فتاة من بنات اليمن حوت الفضل والعلم والأخلاق والجمال فخطبها الى والدها وزفت اليـه بكل حفاوة . وخرج الامام لاستقبالها الى خارج العاصمة وعنـد مقابلتها فى خيمتها سلمت عليـه فرد السـلام وسألهـا قائلا : « أرجو أن لاتـكون أتعبتـكم الجمـال أثناء السفر » فأجابت لأذم العيس ، وعند هذا الجواب أخذ الامام الطرب فتواجد جذلا ، وقد كان استشهادها من قصيدة ابن النحاس حيث يقول :

بات ساجى الطرف والشوق يلح　　والدجى أن يمض جنح يأت جنح

وكأن الشرق باب مغلـق　　ماله غـير طلوع الصبح فتح

لاتسل عن حـال أرباب الهوى　　يابن ودى مالهذا الحـال شرح

يوم منـا الركب بالركب التـقى　　وقضى حاجتـه الشوق الملح

لأذم العيس للعيس يد　　فى تلاقينا وللأسـفار نجح

قربت منـا فمـاً نحو فم　　واعتنقنا فالتقى كشح وكشح

لقد نسى ذلك الامام الجليل ملـكه وعظمته ووقاره وجنده وغناه أمام ذلك الأدب المتدفق الذى تنوع شذاه وفاحت روائحه فأسكرته من غير شراب وأنسته الدنيا وما فيها وحقرت فى نظره كل لذة دنيوية وجملته يتذكر فى لحظة كوميض البرق كل بيت فى قصيدة ابن النحاس .

وهكذا هكذا فاتـكن الزوجات الفاضـلات المهذبات ! فانه لايرجى للمسلمين تقـدم ونساؤنا فى وديان الجهل يرتعن ويعتقدن بالاساطير ولايفهمن فى العـلوم الدينية والدنيوية شيئاً فهـذه مصابة بالزار وتلك بالسحر وأخرى أقلقت راحتها الأرواح الابليسية وقد تعلقن بالأوهام ورضعن لبان الجمود ووجدن انه لاوظيفة لهن فى هذا الوجود سوى اشباع نهمة الرجل .

حرام على المسلمين ان يرضوا لبناتهم هـذا الانحطاط الادبى والتأخر الأخلاقى وهم يرون بأم أعينهم تدهور الابناء بسبب جهل الامهـات ، ولينظروا الى أوربا فيجدون العالمات المهذبات والصحافيات الراقيات والمحاميات والوزيرات والطبيبات الخ ، اليس من العـار أن عـدن مثلا ليس فيها معلمة واحـدة عربية تجيد القراءة

والكتابة والحساب ؟ أليس من الحرام على مسلمى عدن أن بناتهم يذهبن لقمة سائغة للمبشرات ويصرن الى مهواة الفساد الدينى والاخلاق ؟

ما بال مس نايدو الشاعرة الهندية لم يفسد أخلاقها العلم والأدب ؟ إن العلم يصلح ولا يفسد والله يهدى من يشاء .

الاعتماد على النفس

لله در شوقى حيث يقول :

وانما الامم الأخلاق مابقيت ــ فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولعمر الحق ان الأمة لاتسود بقوتها ولا بفتاها أكثر مماتسود بمتانة اخلاق بنيها وهذه دولة العرب فى أيام سؤددها وفى زمن عزها ومنعتها لم يقدها الى ميادين المجد ولم يتوج رأسها بتيجان الشرف والرفعة سوى اخلاق بنيها الأماجد خذ مثلا سيد قريش بل سيد البشر قاطبة « محمداً » صلى الله عليه وسلم يقف داعياً الى الله وحده ولا يسأل فى بادىء الأمر مساعدة زيد ولا عمرو فتقف فى وجهه العقبات ويعذب ويتعب ويهان ثم تعرض عليه الرئاسة والغنى فيرفض كل ذلك باباء وشمم

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا ــ ان الحياة عقيدة وجهاد

ثبت صلى الله عليه وآله وسلم حتى عنت النفوس لارادته صاغرة :

سعيت وعزمى فى المهمات صاحبى ــ وغامرت فرداً والزمان محاربى

الى أن رأيت الدهر يلقى قياده ــ الى ويدنى ما نأى من مآربى

هذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يحذو حذو نبيه وزوج ابنته فيقف يوم ارتداد بعض اجلاف العرب قائلا والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤتونه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحاربتهم من أجله ولو بقيت وحدى

فانما رجل الدنيا وواحدها ــ من لايعول فى الدنيا على رجل

وبمثل هذا الاعتماد على النفس وعدم الاعتداد بأحد وعدم التواكل ، ملك العرب ذلك الملك المترامى الأطراف ووطدوا أقدامهم فى تلك الامبراطورية الواسعة الأرجاء وهانحن اليوم نرى هذا الخلق المتين يتخلق به الأوروبيون فيقبضون به على ناصية العالم المتمدن واليك « كرستوف كولمبوس » يذهب الى أميركا وحده بعد أن خذله كل الناس تقريباً ويكتشف تلك القارة الهائلة الغنية التى أصبحت

وطناً جديداً لهم لايشاركهم فيها أحدالى أن وضع منرو تلك القاعدة الذهبية وهى أميريكا للاميريكان وقد اقتفى أثر كولمبوس « السرفرانسيس دريك » البحار البريطانى المقدام الذى طاف حول العالم واخترق الاقيانوس الأطلسى والمحيطين الهادى والهندى. ومن الذين برزوا فى أبهى حلل الاعتماد على النفس الـكولونل «لندبرج» الطيار الاميركى الشاب الذى أخضع الجو لارادته الحديدية وذلك فى رحلته المشهورة على متن طيارته من أميركا الى لندرا وباريس فى ساعات قيل انها ٣٦ ساعة فكان أول من اقتحم المحيط طائراً .

إن الغربيين يعتمدون على أنفسهم اعتماداً كلياً فترى أفراد العائلة كل مسئول عن نفسه متى بلغ سن الشباب ، ويكاد الرجل لايكون مسئولا حتى عن زوجته وابنته الشابة ؛ لأن كل واحدة منهن فى استطاعتها أن تعتنى بامورها الخاصة وتعمل للقيام بأود نفسها . ولنظام الحكومة أثر كبير فى بلوغ هذه الغاية غير أنه يجدر بنا أن نفهم النتائج الناجمة عن مثل هذا الاستعداد فى العائلات الاوروبيات وأحسن مثل استشهد به هو الواقع فى بعض أقسام الجزيرة العربية والهند .

نجد العائلة العربية المؤلفة من ١٥ عضواً فيها الوالد والأم والأولاد والبنات والأقارب جميعهم يعتمدون على فرد واحد هو رأس تلك العائلة عادة فاذا مات تشتت شمل هذه العائلة وذهبت بها عاديات الدهر ادراج الرياح وتدهورت فى بؤر الفساد وذهبت تتكفف أيدى الناس لأن أفرادها لم يعوّدوا الاعتماد على أنفسهم ومثل هذا الفرد يوحى اليه ضميره أن حياته غالية فان كان عاقلا صار لطيفاً ودوداً كريماً ساعياً فى تعليم أفراد عائلته ، وان كان جاهلا شقياً فهو يكون عادة متغطرساً يعد نفسه شيئاً فتصير أخلاقه شرسة وهكذا تسوء حالة العائلة كلها ، واذا ماأصاب ذلك الرجل تغير فى أسباب ارتزاقه أو نكبة مالية أفقرته رأيت تلك العائلة التى يرأسها تسقط إلى هاوية الفساد. وعدن حافلة بمثل هذه العائلات ، أما الاوروبى الذى لايعتمد على أحد من أهله وذويه إلا فى النادر فانه يسافر ويغامر وقد يموت ولا يغير ذلك شيئاً فى حالة عائلته ولا تتعطل مصالحها أو لايتأخر أفرادها بذلك عن بلوغ مدارك الكمال خلافاً لما يحدث فى مثل هذه الأحوال بين العرب أو الهنود مثلا ولما مات سيف الاسلام محمد رحمه الله قالوا لقد تأخر سير التقدم فى اليمن سنوات و إذا مات زعيم إسلامى قالوا

« ياليت شعرى من يقوم مقامه ويصد عنا صولة الفجار »

وكل ذلك نتيجة التواكل الذى وصل بالشرق إلى أسفل دركات الذل والقهر لقد أهمل المسلمون واجباتهم ولا يزالون. ألم تر كيف أنهم كانوا يطلبون من الخليفة العثمانى أن يقوم عنهم بكل ما يجب عليهم هم القيام به حتى أضاعوا تلك الخلافة وأصبحوا يتأسفون على ضياعها ؟ ولقد حدث ذات مرة أن زرت عالماً وطلبت منه أن يساعدنى على جمع إعانة لأهالى طرابلس حين عذبهم الطليان فى سنة ١٩٣١ م فما كان منه إلا أن قال لى لنتركهم وشأنهم فان الله معهم ! كلمة حق أريد بها باطل . . . . نعم إن الله معهم ومع كل الناس ولكن المساعدة والتعاون والعمل من الامور المطلوبة وإلا فأنى لنا أن نفوز ونبلغ الغايات مادمنا لانعمل فهل يأتينا الرزق إذا لم نسع إليه ، وهل يذهب عنا الأعداء ونحن فى وديان الغفلة مستسلمون ، ألم يقل الله تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم » وقال جل وعلا « إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم »

ومن البديهى أن الانسان إذا اعتمد على نفسه وعرف الناس فيه هذه المزية فانهم بدورهم يعتمدون على سلوكه المتين ويضعون فيه ثقتهم ومتى تبودلت هذه الثقة بين أفراد الامة قادتهم نحو التعاون الصحيح وأرشدتهم إلى تأسيس الشركات التجارية والزراعية والصناعية والأندية وغير ذلك . لهذا نجد أن أكثر أهالى أوروبا وأمريكا يتجرون بواسطة الشركات والمصارف ولكن هذه الوسائط الاقتصادية معدومة فى الجزيرة العربية بل فى الشرق عموماً مع أننا نرى أن شركة الهند الشرقية وطدت قدم الانجليز فى الهند وشركة فرجينيا وضعت الحجر الأساسى لاستعمار الولايات المتحدة . فنفع الشركات لم يعد بالخير على مؤسسيها فقط بل عاد بالغنائم على أممها أيضاً .

نرى العائلة العربية فى الجزيرة متحدة متحابة فى حياة رئيس العائلة ويوم يموت تتفرق أيدى سبا وتنقطع الرابطة الاخوية بين الاخوان وسبب كل ذلك عدم تبادل الثقة بينهم ؛ لان كل فرد يعرف فى نفسه الضعف ويعرفه فى أخيه وهكذا يسود التفرق والشقاق اللهم الا فى النادر والنادر لاحكم له ولا مشاحة ان للعلم تأثيراً عظيما فى تكوين الاخلاق كما للتربية الصحيحة ولكن للوراثة أيضاً أثرها ونقاليد الآباء تراث الأبناء

اذا ما ألقينا نظرة عامة على الشرق نجد أكثر الشبان قد أخلدوا الى الكسل والخمول وقضوا عنفوان الصبا وزهرة الحياة فى لهو ولعب لا يفكرون فى مستقبل ولا يعدون للأيام عدتها ، يسرحون ويمرحون وقليل منهم أهل الطموح

منتظرين ماتجود به عليهم المواريث خلافاً لأبناء الغرب فان المليونير العظيم المستر فورد أرسل وحيده ووريثة ليرتشف لبان العلوم من معينها الذى لا ينضب ثم قاده الى المصانع والمعامل ليعمل فيها كأحد أفراد العمال ويكتسب قوته بعرق جبينه حتى يفهم قيمة الحياة ومعنى الحياة ومسرات الحياه وأتعابها : ولقد رأينا نجل فورد بعد هذه التجارب أصبح عاملا نشيطاً فى المجتمع البشرى يضيف الى الغنى غنى وإلى الشهرة شهرة . خلافا للواقع بين أظهرنا فان أكثر العائلات التى كان لها القدح المعلى واليد الطولى فى عدن والحديدة وبمبي اناخ عليها الدهر باثقاله وأكل عليها وشرب وأصبح أحفاد ملوك الاموال وأرباب الجاه يتكففون أيدى الناس

« قـل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »

ان هذا الاهمال فى التربية للأولاد وعدم تغذيتهم بالعلوم قد تطرق الى العامة من الخاصة وقد عمت البلوى حتى أهمل الامراء أفلاذ أكبادهم عن التحلى بالأخلاق الفاضلة والتزين بزينة العلم الشريفة واذا مازرت منطقة عدن مثلا فانك لاتصادف فى المدارس من أبناء الأغنياء والامراء إلا العدد القليل كأن هؤلاء الأغنياء والأمراء يظنون أن ماجمعوه للأبناء من حطام ينوب عن العلم لإرشادهم فى ظلمات الحياة . ناسين أنهم لايلبثون بعد أن يفارقوا هذه الدار حتى تضمحل هذه الثروات وتصبح كأنها لم تكن

طالب العلم أجدر الناس بالحسنى إذا ما ابتغى الصلاح الأنام
من يشجعه بالحطام يحقق فى غد قدر ما يكون الحطام
لم تقم أمة بسوقة جهل إنما الأمة الرجال العظام

ولطالما بددت الثروات على موائد القمار وفى أحضان ربات الحجال وبين مشارب الخمور وأغنياء الشرق والغرب يحسبون أنهم بهذا الاهمال المشين يحسنون صنعًا وما علموا أنهم يسيئون الى الانسانية أيما إساءة بحرمانها من أعضاء عاملين فى المجتمع الانسانى ، لأن أبناء النعمة يعتبرون عادة من الاذكياء لو عودوا الاعتماد على أنفسهم ،

الأمهات فى أوروبا مهذبات يعرفن أصول التربية والتهذيب واعداد الابناء ليكونوا رجالا للمستقبل بغرس الخيالات السامية فى أذهانهم منذ الصغر .

واجعل خيالك سامياً فلطالما سمت الحقيقة بامتطاء خيال

ولولا مايعتور التمدن الاوروبى من عيوب الطمع الفاضح لسادت أوروبا البشر

إلى الأبد ، ولكن المادية تغلبت على هذه الشعوب فنسوا الله فأنساهم أنفسهم ،

الأمهات فى الشرق يجهلن كل شىء ولذلك تتغلب عليهن عواطف الأمومة فيطلقن السراح للأبناء يخبطون فى دياجير الانحلال الأخلاقى وبذلك يجلبن على ابنائهن جميع الويلات ، وسبب هذا كله ذلك الحنان المنافى للعقل والتجربة . واللبيب يفهم أن العاطفة مؤقتة وكل عمل نتيجة العاطفة يزول بزوال السبب ولكن كل عمل يقوم به المرء بعد التفطن والتعقل والاسترشاد بارشادات العقل المنير لايزول أبداً كالاعتقادات والمبادىء القائمة على النظريات العلمية الصحيحة ، والآباء عادة يعتمدون على الأمهات فى ملاحظة الأولاد ولا يسألون عماهو واقع إلى أن يسقطوا فى مهامه الفساد والخلاعة ويتعذر تلافى الخطر وأقله ذهاب العائلة إلى بيداء الزوال .

إن الذوا كل جرّ على الشرق كل بلاء ، فان رب العائلة فى الشرق لا يؤمل أن ينفك عن عائلته المعتمدة عليه قيد شبر ، بينما الغربى يخترق القفار ويجوب الأقطار ويقطع الربع الخالى ويتبختر بين طبقات الأثير ويحاول السفر الى القمر والمريخ ليفوز ويعود بالغنى الوافر الى وطنة ، وقد لايعطى لأهله منه شيئاً بيدأنه عرف عن الغربيين الكرم الحاتمى فى سبيل المصالح العامة وهاك روكفلر يقدم ١٠٠ مليون جنيه للأعمال الخيرية بينما هو لم يعط ابنته عند زواجها سوى ١٠ آلاف جنيه وتفضيل الغربى المصالح العامة على المصالح الخاصة مبنى على أساس مكين ونظرية فلسفية بعيدة الغور وضعها فيلسوف الانسانية ارسطوطاليس القائل : « ان أعظم الخير هو العائد على البشرية بأجمعها لاعلى الأفراد » والحديث النبوى الشريف يؤيد هذه النظرية فقد قال سيد الكائنات صلوات الله عليه « الخلق كلهم عيال الله فأحبهم اليه أنفعهم لعياله »

ولامراء فى أن الاعتماد على النفس هو من أسس الدين الاسلامى الذى لايجعل الانسان مكلفاً بواجباته الدينية قبل سن البلوغ أى بعد أن يكون فاهما حق الفهم ماهو بصدده لايقلد أحداً فيما هو محاسب عليه الا بعد التمحيص والتدبر ، لأن من تعود مرة الاعتماد على الغير بدون تفكر وتدبر قضى سحابة الحياة فى ظلام دامس « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » : والاجتهاد يحتاج الى العلم الكثير ولهذا أبيح التقليد للعوام فى الفروع فقط والغربيون لايقبلون على أمر الا بعد أن يتأكدوا من صحته ومتى فهموه صار عقيدة راسخة لايتزحزحون عنها أبداً .

ومن المحال أن ترقى أمة مراقي الفلاح وتتوغل في مذاهب المدنية مالم يعتد أبناؤها على التذرع بما يضمن لها العمران ، وإنما يستقيم ذلك بأن يعتمد كل على نفسه في مسعاه ويعمل كأنه عهد إليه وحده أن يشيد معالم العز والظفر في وطنه . أو كأنما السعد لن يحلق على بلاده وقومه مالم يحكم مهنته ويمهر في صناعته . أما إذا وقع التواكل والتخاذل بين أفراد الأمة حتى لم يقم بالنهضة إلا أفراد من ذوى الحزم والمضاء فان البلاد لا يرجى لها تقدم ونجاح فليعتمد أبناء الشرق على أنفسهم وليعملوا بهمة الشباب وحنكة الشيوخ لأسعاد الأوطان وهناءها ؟

العمل

ان الافرنجي مضطر الى الكسب ليقوم بأود نفسه لأنه يعرف أنه قد يموت جوعا قبل أن يحسن اليه أحد من الناس . ولهذا نسمع اليوم ان البطالة عمت الاقطار الاوروبية وان أحد الامريكيين قتل نفسه واطفاله خوف الاملاق وان الجوع ضرب اطنابه في كثير من البلدان رغم تكدس الارزاق في بعضها كما هو حاصل في كندا وما ذلك الا لان شعار الاوروبي « بعدي الطوفان » وما ظهور الشيوعية والبلشفية بأجلى مظاهرهما في الممالك الغربية إلا لما يقاسيه الناس هنالك من جراء اعتماد كل فرد على نفسه حتى أصبح الرأسماليون لا يبالون بما يصيب الفقراء والبؤساء من شظف العيش وويلات الحياة خلافا لما جبل عليه الشرقي من الرحمة والميل إلى مساعدة البائسين حتى صار جل الشرقيين فقراء لهذا السبب وهو خلق كريم غير انه يساعد كثيراً جداً على البطالة ، وقد أدى بالعدد العظيم من الخلائق الى طرق الاستجداء وتكفف أيدى الناس وهكذا صارت البطالة في الشرق نتيجة لعدم الاعتماد على النفس وفي الغرب نتيجة للتطرف والغلو في الاعتماد على النفس

الانسان ميال بفطرته الى الراحة حتى قيل ان البلشفية ما انتجعت هذا المذهب الا للتخلص من ضرورة الجهاد في ميادين الأعمال والمزاحمة المشروعة للكسب الحلال مع انها ثارت على نظام الربا والنظام الفاسد وستبرهن الايام اذا كانت هذه المبادىء صالحة في نفسها مصلحة لغيرها أم لا « وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » ولا تزال جميع هذه الحركات في عهد الطفولة والتجربة والاوروبي مغرم

بعمل التجارب فى جميع أموره ، ولذلك اكتسب اخلاقا متينة . ولنشرع الآن فى مراقبة هذا الشخص فى ديوان أعماله

الافرنجى يعمل ويفتش عن مواطن النقص فى جميع أعماله ويصلح الخلل فى كل لحظة حتى يبلغ بأعماله درجة الكمال وعهدنا بالسيارة غير بعيد وفوق روسنا الطيارة وهذه الكهرباء وأمامنا البواخر البديعة السريعة والبوارج الهائلة ، وإليك مكتشفات الطب والكيمياء والهندسة والفنون الجميلة ، ثم فكر فيما وصل إليه الغربى من التفنن والتحسين فى آلات التليفون واللاسلكى والراديو والتلفزون حتى أصبح يرى ويسمع من يخاطبه وإن بعدت المسافة وهذه علوم الزراعة والنسج وآلات الخياطة والدباغة والصباغة حتى أتتنا الصناعة بالمعجزات ، أنظر الى التلسكوب (المنظار) والميكروسكوب (أو المجهر) والساعة والبندقية والمدفع والتانك والآلة الكاتبة و و و . . . . . .

قل لى بربك ألا تقف أمام هذه القوى حائراً مشتت الفكر مهللا مكبراً ممجداً الخالق العظيم الذى خلق هذا العقل للانسان وآتاه ملكا كبيراً فعصف بأخيه واستبد بأبناء أبيه ، وقابل الحسنة بالسيئة ؟

لا يقولن قائل ان طقس أوروبا ومناخها قد ساعداها على بلوغ هذه الدرجة فى الرقى الانسانى لأن مصر وسوريا والهند وإيران أثبتت اليوم أن فى استطاعة كل منها أن تنافس أوروبا وتعمل بصورة جدية تثبت لها مكانتها بين أمم اليوم ، واللبيب يفهم أن أوروبا لم تخلق شيئاً جديداً سوى السرعة الهائلة ، والحاجة دفعتها إلى ذلك وفى المثل الحاجة أم الاختراع لأن عدد الاوروبيين زاد كثيراً جداً فصاروا بحاجة ماسة إلى كثير من ضروريات الحياة المجلوبة من الشرق وبحاجة أعظم إلى اضطرار الشرقيين لمشترى المنتوجات الاوروبية بتقييد الشرقيين عن العمل وجعلهم خاملين كسالى ، وهكذا أصبحت السرعة أعظم هم أوروبا وأساس النجاح للصناعة الاوروبية . والغربيون بحكم الضرورة والمنافسة لبلوغ ذرى المجد حريصون على تحسين مصنوعاتهم وترويج بضائعهم ومضاعفة منتوجاتهم التى أصبحت ــ لهذه الأسباب ــ تجد المستهلك دائماً مستعداً لمشتراها .

كان للعرب اليد الطولى فى صنع الزجاج والفخار والورق والحرير ، ولقد كان بعض ما صنعه المسلمون أعجوبة من عجائب الدهر وطرة بيضاء فى جبين الزمان ولا تزال السجادات العربية والنقوش الأندلسية مثار الاعجاب وزينة المتاحف

فى لندرا وبرلين وباريس وروما ومجريط ونيويورك ، وقد بلغ صناع الحرير فى هذا العمل شأواً بعيداً ولا يزال فن التطريز بالذهب و « التخريم » من أهم الصناعات فى بعض مدن الهند كبنارس ودهلى وفى بعض مدن الصين واليابان ، وحدث ولا حرج عن الصياغة والنقش والرسم والكتابة الجميلة فى كثير من الممالك الاسلامية إلى عهد غير بعيد . و «التاج محل» فى «اكرا» شاهد على مابلغ إليه الشرق من التقدم فى الفن المعمارى ولقد وقفت حائراً أمام التاج محل لاأعرف كيف أصفه ولا من أى النواحى أنظر إليه . ولكن الشرق أضاع تلك المزايا الفاخرة والاستعمار مسئول عن كل هذا التقهقر أمام الأجيال المقبلة لأن الجشع الاستعمارى أباد العباقرة فى الشرق حتى أصبحنا لانعرف كيف نعمر ديارنا بعد أن كنا نعمر مثل التاج محل والاهرام وقطب منار وقبة الصخرة الشريفة بالقدس الشريف

أما أوروبا فحدث عن تقدمها الصناعى بملء فيك فان ساعة الرشيد التى أدهشت شارلمان أصبحت اليوم تدهش ملوك العرب وأمراء الاسلام بل أنها تطورت حتى أصبحت زراً صغيراً ينبئك عن الوقت فى مجاهل القارات والصحارى المترامية ولم يكتف السويسرى النشيط بصنع الساعة اليومية بل عمل الساعة الاسبوعية والسنوية كما اخترع الغربيون الفونوغراف (الحاكى) والمواد الكيمائية للصباغة والدباغة والتصوير والتداوى وأبرزوا السينما الصامتة والناطقة . ولقد تقدمت الطباعة تقدماً يدهش الأبصار واستخدمت الطباعة لتقديم المساعدة فى هذا المضمار حتى أصبحت الصحافة لسان حال الشعوب وواسطة لنشر المعارف والوسيلة « لقطع الوقت » ورخصت أثمان الكتب وتمكن الناس من اقتنائها بسهولة وتفنن المحررون فى استلفات أنظار القراء واجتهد كل واحد أن يبتكر الوسائل الفعالة لترويج جريدته وبضاعته وقويت المنافسة المنظمة وكثر المفكرون والعاملون النشيطون حتى أصبح أهالى استراليا يعجزون عن مشترى الفحم من مناجمهم الواقعة حول بيوتهم بمثل الأسعار التى يعرض بها فحم كارديف فى انجلترا فى نفس سيدنى عاصمة استراليا وما ذلك إلا لرخص وسائط النقل والتعدين فى انكلترا فتفكر فى هذا النشاط الهرقلى وتدبره وقابله بالخمول فى الجزيرة العربية حيث لا تجد جريدة عربية كصحف اوربا ولا مجلة وافية بالمراد ولا مصنع معتبر ، ولنفكر الآن فى الأسباب التى بواسطتها رقى هذا المخلوق الغربى الى هذه الدرجة الرفيعة وكيف اتاح له الزمان ان ينافس الامم حتى فى حاصلات بلادها الطبيعية إذ أصبحنا

نراه يبيع الفحم للاستراليين والصباغ لليمن ، وكأنه والحال كذلك يكاد يصدر التمر الى البصرة والقطن إلى مصر !

لا ريب أن مناخ اوروبا المعتدل عامل عظيم فى بلوغ الافرنجى هذا المركز السامى الذرى ولكن ثبات الغربى اوروبيا كان أو امريكيا وأنى سكن وحيث اقام واستمراره فى عمله وجهاده فى سبيل اسعاد نفسه وبلاده بغير توان ولا ملل ، لعامل وايم الحق عظيم فى سبيل نجاحه لأنه لايبالى بالعقبات التى تعترضه مهما اخفق وفشل ، يجرب ويكرر التجربة حتى يصل الى مايريد من الفوز أو يتوصل الى نتيجة اخرى تكون اكثر نفعاً او لاتخلو من فائدة وها الانكليز يجوبون الفيافى والقفار ويقطع الحاج عبد الله فلبى رملة وبار ، يصنعون الخارطات لكل منطقة مع التقادير الفنية لكل منطقة وبلدة متعاونين ساستهم ومبشروهم ، جندهم وتجارهم لغاية واحدة هى خدمة الأوطان

« من يخدم الأوطان يبقى ذكره وكذا تضاف لعمره اعمار »

وشعارهم « اذا عز أخوك فهن » فلا يستنكف الكبير عن الخضوع للصغير مادام أنه اكفأ منه وأقدر

قرأت منذ حين ان روسياً حاول الطيران فى طيارة ذات بضعة محركات وكان يخفق فى كل حين ولكنه لم ييأس بل استمر الى أن ساعده الجد والكد فبلغ مناه وخذل أعداه ، وها السفار الغربيون يرحلون من بلد الى اخرى مستصحبين معيار الطقس والحرارة والضغط الهوائى وآلة الارتفاع وبعض الادوية يدونون جميع مشاهداتهم ليستفيد غيرهم ، وهكذا يدرسون اخلاق الامم ويفهمون اسرار الحياة فيسأل المسافر منهم والرحالة عن أسماء جميع المراكز والآبار والقرى والجبال والأنهار والقبائل والحاصلات ويقبل على عمله بشوق ونشاط ويقوم بواجباته بفرح وجد لا ينفك مفكرا فى طرق التحسين مبتكرا وسائل الربح ولذلك قلما تجد التاجر باقيا على حالة واحدة اذا لم تكن تدر عليه البنان الخير ومحصولات المنافع ولطالما شاهدنا الغربيين يغيرون حرفهم مراراً وتكرارا حتى يصلوا الى الطريقة التى تدر عليهم الخيرات من محينها الذى لا ينضب فترى تاجر الجلود والبن ينقلب مزارعاً أو بائعاً للحديد أوالمواد الخام من أقطان أو حرير وهكذا .

ولا مشاحة فى أن تنويع الاعمال والصنائع حرز حريز من الفقر كما جاء فى الأثر عن سيد البشر وهى أيضا تكسب العامل مراسا ومرونة وسعة اطلاع مما يساعده

على الابتكار والاستنتاج خلافاً لما نشاهده بين اخواننا العرب فان النجار نجار ، والحداد حداد ، والعطار عطار الى الأبد ، لا يعرفون غير هذه المهن ولا يطمحون الى تفهم او تعلم سواها ولو كسد سوقها وبارت تجارتها ، وانك لتجد الجندى والتاجر والسياسى والكاتب المنقب عن الآثار والاخبار من الأجانب لا يحلون بلدا الا كان اول همهم تعلم لغة البلاد عربية كانت أو هندية صومالية أم صينية خلافاً لما شاهدته فى كثير من العرب فى بلاد الصومال فانى وجدتهم لا يحسنون اللغة الصومالية رغم مرور الاحقاب عليهم هنا لك اللهم الا فى النادر والنادر لا حكم له كما يقال بينما الكولنل لورنس والى بلاد الصومال والمستر بيتيل والميجر هورسلى والكبتن بارك يتكلمونها كأحد أبنائها وقد وضع الافرنج الكتب العديدة لتعلم اللغات على اختلافها ولكن العرب لا يحاولون ذلك مع انه محتم عليهم لنشر الدين الاسلامى إتقان اللغات الأجنبية ونحن اليوم بحاجة ماسة لتعلم علوم النفس والاخلاق والفنون الجميلة والهندسة والرياضيات والكيمياء والملاحة والجندية والطيران والطب ولاسبيل اليها إلا بتعلم اللغات الأجنبية وهى الانكليزية والألمانية والأفرنسية والايطالية والروسية على وجه الخصوص وبقية اللغات الحية على وجه العموم ولكن المسلمين اليوم فى عراك هائل فى هل يصح أن يترجموا القرآن إلى اللغات الأجنبية أم لا ؟ وكيف لا يجب ذلك ، وإلا فكيف يفهم الأجانب القرآن وكيف يعرفون فضل هذا الدين على سائر الأديان ؟ أليس أن القرآن كتاب الانسانية وقانونها الذى إذا اتبعت البشرية نصوصه عاشت فى سلام ؟ فاذا قلتم نعم فكيف يجوز لكم أن تخفوا عن الناس أسرار هذا الكتاب الأقدس ، ترجموه أو قولوا ترجموا معناه ولكن لا تتجادلوا فيما لا فائدة من ورائه .

من المجزوم به إذاً أن المضى فى العمل هو أس النجاح وأن الثبات مع التحسين المستمر وإصلاح الغلط يجلب الخير والفلاح فى جميع الأعمال أما التأخر والتوانى وإضاعة الفرص والملل والتفاقل فليس لها سوى نتيجة واحدة هى الفشل .

هذا ماركونى ابتكر آلته فى سنة ١٨٩٥ وها هو لا يزال مستمراً فى إدخال التحسينات عليها وإصلاح عيوبها حتى وصل اللاسلكى إلى ما وصل إليه اليوم ولقد تحسنت آلة التليفون وتمكنت من مزايا الطيارات واستغنى عن إقامة الأعمدة حتى طمع ماركونى فى مخاطبة سكان المريخ إن كان فيه من يحسن الكلام ولكن السفينة العربية لا تزال هى هى من عهد نوح عليه السلام والطبيب العربى لا يزال يزاول الكى بالنار

والمراوغة بالطلاسم والتمائم ويعتقد أن الكيمياء هي تحويل الحديد ذهباً وقد نسي أن أجداده هم واضعو أصول الكيمياء والطبيعيات والطب والجبر ومخترعو التمام والتفاضل في الحساب ، وأول من استعمل البارود وقد ثبت أنهم أول الطائرين كما جاء في تاريخ الطبري ، لقد نسي المسلم أن التداوي بالحقن تحت الجلد أول ما ظهر في الاستانة المسلمة في القرن الثامن عشر وأن فلسفة ابن رشد هي التي هيأت كثيراً في فلاسفة الافرنج لتلقي علوم الفلسفة والتبحر في أصولها ، وان العلوم العربية باعتراف السير توماس آرنولد هي التي هدت كولومبوس لاكتشاف أميريكا !

ان الأوربي يعرف قيمة العمل ويقدر الأعمال الجليلة وقليلا جداً مايميل الى الخرافات والخزعبلات أو انتظار البخت والنصيب فهو يجد ويكد غير تارك نفسه تحت سيطرة الحوادث أومتهما بعجزه الاقدار فكأنه تخلق بأخلاق القرآن من حيث نحن لم نعمل بها ، ولذلك تجد للغربيين شركات تجارية وزراعية وصناعية وملاحية كما تجد لهم نقابات للعمال وشركات تعاونية ومصارف غنية وجمعيات خيرية اصلاحية ونواد رياضية وأدبية ، ومن شأن كل هذه الأمور توحيد الغايات والمصالح والتفاهم والانضمام والاتحاد والدفاع والعمل للصالح العام ، لان الصالح العام إذ ذاك يصير صالحاً خاصاً خلافاً للواقع في بلاد العرب ، فانك اذا جئت الرجل المثرى وطلبت منه مساعدة لمدرسة خيرية أجابك على الفور أنه لم يرسل أولاده الى تلك المدرسة أوالى غيرها فيبرهن بذلك على انه لايهمه أمر اخوانه ، ولقد أجاد الأمير شكيب أرسلان كاتب الشرق الاكبر وامير البيان في كتابه « لماذا تأخر المسلمون » إذ بحث في كثير من العيوب الاخلاقية التي تنخر في عظام الهيئة الاجتماعية المسلمة ودل على أمراضها

إن تنويع الأعمال هو نتيجة للمران الطويل وقد أدى ذلك الى توسيع نطاق التفكير وقوة الابتكار ، فنحن اذا أخذنا صناعة الكبريت نجد أن فريقا من الناس يناط بهم تقطيع الاشجار وآخرين تشريحها وغيرهم تنحيفها وفريقاً رصفها في الصناديق بعد تتويجها بالمادة الكبريتية القابلة للاشتعال ، وأناس مهمتهم الصاق رقعة العنوان على العلب الصغيرة ، وهكذا قل عن صناعة الابر ومثل هذه الأعمال تقيد دائرة الفكر في محيط ضيق جدا وقد جن عدد كبير من العمال بعد أن قضوا عشرات السنين في عمل واحد مستمر ، وهكذا وظيفة معلم الصبيان فانها من الخطورة على عقله بمكان ان لم يفارق تلامذته بعد أوقات الدرس للاختلاط بالعقلاء لأنه قد يتصابى ويضعف عقله كثيرا لملازمته الصبيان ، ولهذا قرر العلماء أنه يتحتم على المرء احتراف

الأعمال التى تستوجب أعمال الفكر ، ولهذا فان المدارس الراقية تخرج تلامذتها وهم يحسنون فى آن واحد بضعة علوم وفنون تكسب العقل مرونة خلافاً لأنظمة التعليم فى كثير من البلدان الشرقية حيث يتلقى التلامذة علماً واحداً فقط وبذلك يتقيد نطاق تفكيرهم وتسوء أحوالهم ، اذ لا يستطيعون العمل إلا فى تلك الدائرة التى حضرتهم المدرسة لها حتى انك اليوم اذ ذكرت للفقيه مخاطبة أهل المريخ قال أستغفر الله . واذا ما نطقت بنظرية داروين استعاذ بالله من الكفر ، وهو ما يذكرنى بقيام الكنيسة على كريستوف كولمبوس عند ما أعان عزمه على اكتشاف أمريكا إذ وجد القسوس ان ذلك مخالف لقواعد كتبهم الدينية ، واننا لنرى بأم أعيننا ونسمع بآذان رءوسنا فى الجزيرة العربية أقواماً يرون كفراً القول بدوران الأرض حول الشمس رغم جميع الشواهد التى لا تقبل النقض والابرام

وقع مرة فى يدى خطاب من الهند وعليه طوابع بوسطة بآنتين ونصف (أكثر قليلا من غرش صاغ مصرى) وكان ميزانه دون الأوقية فاستغربت ذلك الاسراف ولكنى عند مراجعة العنوان وجدت المرسل قد عنون الخطاب (الى عدن من أعمال مصر) مع انها من أعمال الهند وهو غلط جغرافى ولولا جهل المرسل بالجغرافية لوفر لنفسه نصف قيمة الطوابع وهذا مثال بسيط لما يمكننا أن نستفيد منه بواسطة العلوم مادياً وأدبياً

وفى أصول الاسلام الحكيمة وجوب السعى لكسب الحلال واتقان العمل والثبات عليه فقد جاء فى الحديث « أن الله يحب فى عبده إذا عمل عملا أن يتقنه » وجاء أيضاً « استعينوا على كل صنعة بأهلها » وجاء أيضاً «أحب العمل الى الله ما داوم عليه صاحبه » وقال عليه الصلاة والسلام « اذا قامت القيامة على أحدكم وهو يغرس فسيلة فلا يدعها حتى يغرسها » والمراد من هذا الحديث الحث على الثبات .

الرياضة البدنية

قد يستغرب بعض القراء اذا قلت ان الرياضة البدنية اثر أعظم فى تقدم الغربيين ، ولكننا اذا سلمنا ان العقل السليم فى الجسم السليم لا تجد غرابة فى هذا القول فقد تعود الغربى منذ أيام طفولته ونعومة اظفاره ان يتريض صباح كل يوم ومساءه بالسير الحثيث المسافات الطويلة وبتسلق الجبال والسباحة والتجديف والمصارعة العنيفة والملاكمة

والتنفس وركوب الخيل وغير ذلك مما يعود على الاجسام بالقوة والمناعة ويكسب الانسان صحة وعافية اذ يتمكن بقوة هيكله فى مقاومة الامراض الفتاكة فيعيش الأمد الطويل والأمراض عنه بعيدة وجسمه متعود على التعب اثناء الرياضة الساعات الطويلة وهكذا فانه فى اثناء العمل لايشعر بفتور ولا كسل بل نراه مستمراً فى انجاز اعماله بدون كلل ولاملل ولاتذمر لأنه يكتسب من رياضته المنظمة قوة الارادة والتسلط على قواه البدنية فلايؤثر عليه تراكم الاشغال ولايميل الى الراحة اوالخلود الى البطالة

كنت ذات يوم ماراً بثكنات الجيش فى مدينة عدن وكان معى أحد الرفاق فرأينا أفراد الجيش يقومون برياضة عنيفة ومناورات عسكرية فى الشمس المحرقة فقال لى الصديق ان الدولة ترهق رجالها بهذه الحركة المتعبة بدون طائل ولا جدوى فأخذت اشرح له فوائد الرياضة ومنافعها وواجبات الاستعداد للطوارىء ولكن لم يجد ذلك معه فتيلا حتى كان ماكان من الفتنة بين المسلمين واليهود فى عدن فى شهر مايو سنة ١٩٣٢ فقد رأينا أولئك الخفراء وأفراد البوليس المسلح يطاردون الثوار فى الأزقة ثلاثة أيام بلياليها وفى أثناء تلك المشاغبات صادفت ذلك الصديق وألفيته معجبا بشدة الجند وجلدهم فقلت له مذكراً « لمثل هذه الطوارىء يستعد الجنود بتلك الرياضة التى انتقدت عليها فى ذلك اليوم ، ولولا ذلك لما كان فى استطاعتهم العمل المتوالى كما ترى لأن الجسم يتوتر اذا لم يكن متعوداً على الرياضة البدنية العنيفة وقد يصاب المرء بالمرض الشديد الخطر على الحياة عقب العمل العنيف والحمى المعروفة Exhanstion fever التى هى مسببة لخور القوى من الشغل المستمر أعظم شاهد على ذلك الا اذا كان الانسان لاينقطع عن العمل أمداً طويلا

عرفت فى عدن التاجر العبقرى الخواجه بيس المشهور وعليه من الاعمال والواجبات للقيام بأعباء تجارته الكبيرة ما ينوء بحملها عشرات الرجال ، ولكنه لا ينقطع يوما واحداً عن الرياضة بتسلق جبل شمسان أو بالتجذيف أو بالسباحة أو بركوب الخيل ، ولهذا تراه كأنه لم يبلغ الأربعين من عمره بينما هو اليوم فى العقد السادس فتراه أبداً ودائما متمتعاً بأبهى حلل الصحة والعافية ، قوى الجسم والبنية والعضلات عصاميا عظيما فى أفكاره وأعماله ، وكذلك قل عن كثير من الافرنج المولعين برفس الكرة والتنس والهوكى وغيرها من الألعاب الرياضية

وإذا ما ألقيت نظرة على الشعوب الشرقية تجد اليمنيين والأحباش غالبا مولعين بمضغ القات يقضون الحياة فى أكله ليلا ونهارا وفى الأوقات التى يجب فيها أن يستريحوا

بالنوم أو يستفيدوا بالمطالعة أو بالرياضة العضلية مع العلم أن القات يخل مضغه بالصحة عموماً وينهك الأضراس ويودى بها قبل أوانها ، ولذلك يسيء حركة الهضم ويضعف قوة الباه ويولد المرض المعروف « إسبرماتوريا » أى السيلان وبعد مفارقة مجالس القات تجدهم فى غم ونكد يتصببون عرقاً وهم غالباً فى حالة تخدر لا يجلو همهم سوى الاخلاد الى القهوة للعب الورق والدامة والدمنة والطاولة والتدخين بالشيشة والمقامرة وهم عادة يبدأون مضغ القات الساعة الواحدة بعد الزوال ويغادرون القهوة الساعة الثامنة مساء لاتمام ما بقى من مضغ القات ويستمرون الى ما بعد نصف الليل ، والقات مادة مجلبة للسهر لاحتوائها على التانين من السموم المعروفة ، ولهذا تضعف جميع القوى العصبية عند آكل القات من حيث لا يشعر فيتعود الكسل ولا يشعر بالنشاط إلا عند مضغ هذا النبات شأن جميع المخدرات وتجد آخرين عبيداً لعادات أخرى سيئة كشم الكوكايين والتامبول وشرب الشاى القوى بينما تشاهد الأفرنجى لا يأتى عليه وقت العصر الا وقد استعد للرياضة العنيفة التى أقلها السير مسافة بضعة أميال يعود بعدها الى الدار فيأكل طعامه بشوق عظيم وشهية ونهم عارفا أن كل ذلك سينهضم فى بضع ساعات قبيل النوم خلافا للشرقى الذى تعودت معدته الكسل فاذا ما أكل بضع أوقيات أصيب بكابوس يقض عليه المضجع فينسب كل ذلك الى الشياطين والعفاريت ، وهكذا يصير عرضة للأوهام والآلام

وإذا عجز المرء عن الرياضة كل يوم فعليه أن يقوم بها مرة فى الاسبوع على الأقل على شرط ان تكون عنيفة طويلة تستغرق اكثر اليوم على رءوس الجبال وشاطىء البحر وفى الحقول والغياض وهى أرخص من الهواء لانها لا تكلف المرء دانقاً واحداً بينما هى تبعد الطبيب عن الدار أعواما

الهضم

لكل انسان فى هذا الوجود غاية فزيد من الناس يريد أن يكون سعيداً وأن يتنعم بلذائذ الحياة وأن يقتنى قسما وافراً من المال والخول ، وعمرو يريد أن يكون سياسياً هائلا ، وخالد يرمى الى قيادة الجيوش فى ميادين النصر بينما أحمد يرى أن الحياة هى ارتشاف لبان العلوم والعيش فى تقشف وبعد عن ضوضاء الحياة ، ولذلك وجب علينا ان نبحث بحثا دقيقا لنفهم مرامى الانسان الرئيسية فى هذا الوجود وليكن بحثنا

منطقياً يتفق والسلوك الانسانى مدعماً بعلم النفس وفلسفة الحياة . وأحسن ما كتب فى هذا الموضوع هو المحفوظ عن الدكتور جنج والعلامة آدلر والحكيم ماكدوجال وغيرهم من فلاسفة الغربيين الذين لأفكارهم العالية وابحاثهم المفيدة مكانتها فى مجالس العلم والعلماء، وخلاصة بحوثهم أن الانسان يرمى فى هذه الحياة الى مشاركة زوجة صالحة وأولاد والى نيل سلطة عظيمة فى المجتمع البشرى للتمكن من مقاومة مخبئات القدر وتنازع البقاء اذا ما سلمنا أنه لا بقاء الا للأصلح « وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » (قرآن كريم)

لم يقرر العلم حتى الساعة ما إذا كان الانسان مجبوراً أو مخيراً فى انتهاج السبل التى يرتادها فى حياته بيد أنه قد ثبت أنه يتكيف بحسب المؤثرات ، وأن لنظرية أرسطوطاليس «السرور والألم» مبلغاً عظيما فى الصحة ، لأن المرء يجتنب كل مايعود عليه بالشر والضرر ويميل إلى كل مايجعله فى فرح وخير ولذلك نقرر أن السارق إذا سرق فانه يعرف أن ذلك سيجلب عليه ضرراً محققاً كقطع يده مثلا ولكنه يقدم على اقتراف الجريمة بدافع التخلص من ألم أعظم وهو « الجوع » أو الخوف من ضياع الشرف إذا اكتشفت جريمة أخرى اقترفها كالاختلاس من مال مولاه أو اعتماداً على عدم انكشاف سر ذنبه أو (إذا ماقد سرق مرة واحدة) بدافع العادة المستحكمة فى نفسه والتى لايقدر على مقاومتها ويتفاوت الناس فى فهم الخير فقد يعد الصينى خيراً مايراه الهندى شرا ويرى البوذى المتقشف راحة فى القعود على السنة الحراب وقذف جسمه فى النار الملتهبة بينما يرى الجمهور أن ذلك هو عين الشقاء ويجد عمرو فى الجوع لذة ولكن عليا يجد السعادة والهناء فى النهم مع أن فى النهم سوء الهضم والألم ،

وهكذا قد تتوق نفس كنفس عبد الرحمن الناصر إلى توطيد ملك راسخ البنيان ، وتتشوق روح كروح نابليون الى امتلاك ناصية العالم ، ويود رجل كغاندى أن ينال الاستقلال لوطنه ، ولكن هل يجدون فى ذراتهم وفى أنفسهم العزم لتنفيذ تلكم الرغائب ؟ وهو ماسأبحث فيه الآن بحثاً كاملا غير أنى أقدم للبحث توطئة وهى أن الانسان مخير فى بعض أعماله ومجبور فى بعضها بقوى طبيعية ووراثية ، فهيا بنا أيها القارىء الكريم لنسرح معا فى عالم الخيال ونحلق فى سماء التاريخ لنكتشف بعض ما عمله العزم من العجائب .

قبل بزوغ فجر الاسلام كان العرب فى حالة هى إلى الفوضى أقرب منها إلى النظام ولا يخفى على المطلع اللبيب أن قبائل العرب كانت متنافرة متباعدة متقاتلة ، وكان

الفرس والروم يقتطعون من الجزيرة العربية أطرافها كما تفعل أوروبا اليوم بالحبشة ،
أما أخلاق العرب فقد كانت على وجه الاجمال ضعيفة إذ كانوا يئدون البنات لخور نفوسهم وجهلهم ، ويشربون الخمر باستهتار ويستسلمون للشهوات ويلعبون القمار وينهبون الناس ويقطعون الطرق ويعبدون الأوثان رغم كرمهم وإقرائهم الضيف وذبهم عن الوطن ودفاعهم عن الاعراض وإبائهم الضيم ، وقد جاء فى الأثر أن سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم وجد عمر بن الخطاب مرة يضحك ثم صمت فبكى فدخل عليه النبي وسأله عن حالته فقال عمر للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إنه كان له ربا من حلوى إذا جاع أكله وطبخ غيره وعبده فلما تذكره ضحك لذلك الهوس ثم تذكر أنه وأد بنتاً له وأنه لما كان يواريها التراب كانت البنت تنفض عن لحيته فأبكته تلك الذكرى التى تبكي السامع اليوم ، وإن يكن قد مر عليها مايقرب من ١٤ قرناً . فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألم يكن لكم عقول ياعمر ؟ فقال بلى يارسول الله ولكن أضلها باريها .

ولعمر الحق أن المرء ليأخذه العجب وهو يرى أن هذه الأمة المتأخرة الجاهلة قد بنت مجداً خرت له الجبابرة ، وأن المرء إذا ما أوغل فى التفكير وجد نفسه معجباً بالسبب الذى هيأ لهذه الامة هذا الفخر وقادها إلى ميدان النصر مع أنها لم تكن ذات بلاد غنية . لأنها سكنت وادياً غير ذى زرع كما قص الله علينا فى كتابه الكريم ولم تكن له قوة تجارية أو زراعية ولا مناجم ولا أساطيل ولا عدد كافية بينما كان أعداؤهم أهل غنى وافر وملك عظيم ، فيالاعجب ! ليس بالقوة تسلط هذا الشعب ولا بالغنى ولا بالعلم ، إذاً فلم يبق لنا الا أن نقول إنه إنما ملك ذلك الملك المترامى الأطراف وخفقت أعلامه على ربوع المسكونة بقوة الأخلاق وشدة الايمان .

ولكن من أين اكتسبوا الاخلاق والعزائم وتحلوا بالفضائل والكمالات والعرب (كما رأيت) كانوا فى دياجير الجهل يهيمون وفى بحبوحة الفساد يتخبطون

إن العرب لما تحلوا بأخلاق من علمه القرآن سيد الكائنات ونور الأرض والسموات صلى الله عليه وآله وسلم أنجبوا مثل عمر بن الخطاب الذى وأد ابنته وشج رأس أخته وعبد رباً من حلوى ثم أصبح ذلك الأسد المصور والشهم الندب الغيور على دين الاسلام . بل امبراطوره الكبير ورجله الفذ الشهير لذلك يجدر بنا أن نفهم سر انقلابه من الهمجيه إلى التمدن الصحيح .

قلت ان العرب كانوا أطوع الناس لشهواتهم وكانوا عبيداً لفروجهم وبطونهم

ولكنهم في عشية أوضحاها داسوا على الشهوات ونبذوا الخمر وقاطعوا التزوج بعشرات النساء واجتنبوا الزنا وتحلوا بالصدق والشجاعة والاخلاص والتضحية وتركوا الاحقاد وعمر قلوبهم الأيمان فكسروا الأوثان وأزالوا الصلبان وأخمدوا النيران وبرزوا بالاعلام ، رؤسهم مرفوعة وراياتهم خفاقة وخيامهم مضروبة فاذاهم غير من عرف الناس ليوثا عوابس وابطالا مغاوير ، يرون الجنة تحت ظلال السيوف ولطالما أثخن أحدهم في ثمانين موضعاً من جسمه وهو يقاتل حتى يقتل شريفاً معظما مأجوراً كأنس بن النضر الذى لم يدرك مع النبي بدرا فكان منه في أحدما كان ، فالعرب اذا عزموا على دوس الشهوات داسوا الكرة الأرضية وأهلها وعليه يكون العزم رأس الاخلاق الفاضلة وأس الكمالات العظيمة وسر أسرار التقدم البشرى وهو أظهر مايكون في التغلب على النفس وشهواتها كما جاء في الأثر واذا ما أراد الانسان أن يتغلب على نفسه ويصير كاملا فاضلا قوى الارادة فما عليه الا أن يتغلب على بعض عاداته أولا كشرب الدخان والقات والخمر والكوكايين والحشيش ويتعود مع العزم قول الصدق وكبح جماح النفس وقد تركت انا عادة شرب الدخان ومضغ القات وأكل التامبول وشرب الشاى فوجدت في أخلاقي تبدلا وتحسنا ومتانة

ان الأمة العربية الكريمة لما اقتدت بسيدها وحبيبها محمد صلى الله عليه وآله وسلم سادت وشادت وارتفع شأنها وعلا كعبها . أما الاستسلام لهوى النفس الامارة بالسوء فانه غاية الدناءة والخسة التى تجعل الانسان حقيراً لايتسامى أبدا بل يبقى مضغوطاً عليه متساقطاً عابه الوهن مائلا الى الخرافات لاينجح في عمل من الأعمال والخوف ملأ جوفه وهو دائم الدهر في حالة تشنجية طالما أودت به الى الفشل والى الحضيض والموت الأدبي شأن السقوط في جميع أطواره لأن كل أمة استسلمت للبهيمية والشهوات النفسية لاتلبث أن تسقط في مهاوى الدمار

لقد استسلمت الأمم الاسلامية اليوم للشهوات ، ولذلك خارت عزائمها وأصابها البوار واليك البيان : —

لقد تفشى شرب الخمر بين كثير من الشعوب الاسلامية التى يحرم عليها دينها شربه فهى بمخالفتها قد قذفت بتعاليم الدين الحنيف عرض الحائط وآتت الانفس مناها وأقبلت على دنياها فجمات اهواها فوهنت قواها وهوت رجلاها وأصبحت أشبه بالرجل المنوم الذى يعمل كل شىء بارادة غيره لابارادته بل تحت قوة التأثير المغناطيسى الناجم عن عدم ضبط النفس بالعزم الفعال ، حتى صارت طوع ارادة

الشهوات وسبب ذلك أن فى الدماغ حواجز قوية تسمى lines of resistance فاذا ما أقبل الانسان على اقتراف الجرائم ضعفت هذه الحواجز التى هى الارادة فيصبح الانسان بلا ارادة ويكون عندئذ طوع ارادة الشيطان » .

ليس شرب الخمر فحسب ولكن المقامرة والزنا واللواط والفسق بكل صنوفه قد أصبحت جميعها عادات راسخة بين كثير من الشرقيين وما يليق بهم وبلادهم مهبط الوحى ومنبع العرفان والتمدن وقد كانوا المثل الأعلى للعفة والتقوى والورع والصلاح والايمان وأمامنا الهندوس الذين يضربون لنا المثل العظيم فى الصرامة فى معاملة النفس الى حد الامتناع عن الأكل والشرب واللباس وترك الشهوات واللذائذ جميعها ، وكذا قل عن بعض السادة الصوفية الذين يأبون الاستسلام لهوى النفس ؛ وقد دخلت على الشرقيين عادات قبيحة كثيرة كالمخدرات فى مصر والشاى فى الحجاز والقات فى اليمن والحبشة وبلاد الصومال ، والتامبول فى الهند وشرق أفريقيا والافيون فى الصين والتدخين ، والخمر فى جميع الممالك الشرقية ، وقد أولع الناس بقتل الوقت بلعب الورق والدومنة والطاولة الساعات الطويلة بل الأيام المتوالية وهم بقتل الوقت انما يقتلون أنفسهم أدبياً وهذا هو الانتحار الأدبى وهو فى مذهبى حرام كقتل النفس البريئة ، اذ كيف يجوز لمن كانت بلاده مستعبدة وحقوقه مستباحة ان يسترسل فى شهواته طول العمر ويقضى ثمين الوقت فى سفاسف الأمور والموبقات حتى أصبح أكثر شبان الشرق مدمنين على أخس العادات ، أصابهم الخمول ودب اليهم الكسل فصاروا من طلاب الرفاهية والراحة يقترفون الكبائر للتحصل على راحة الجسم واشباع نهم النفس وقد مات وجد انهم وضاعت أوطانهم وأعداؤهم يقولون :

انا نرى الدنيا انقاذ أوطان

أفما آن للشرق أن ينتبه ؟

والآن هيا بنا إلى ربوع أوربا لنرى كيف كون الهولنديون بلاداً من اجمل بلاد الله عمارة وزراعة وصناعة وقد أوجدوها من مستنقعات ليس الا وكيف هم اليوم يردمون المنخفض لينهبوا من البحر الغاضب المتلاطم بالأمواج قطعة واسعة من الماء فيجعلوا منها أرضاً مزدهرة بالأزهار اليانعة والأشجار النافعة والمساكن الآهلة والمصانع المنتجة ، هلم بنا إلى انكلترا لنراها وقد اشتبكت أرضها بشبكة من قضبان السكك الحديدية وخيمت على سمائها طبقة كثيفة من سحب دخان المعامل النشيطة وأنظر كيف حفرت قناة السويس وقناة باناما وكيف نقرت جبال الألب لعمل نفق

من ايطاليـا إلى فرنسا ، وتفـكر فى القطار الممـدود من فلاديفوستك على شاطىء الباسفيك إلى لننجراد على شواطىء بحر البلطيك حيث يتصـل بسكة حديد المانيا ففرانسا فغـيرها . . . الطيارة تخترق الأثير والقطار يتسلق الجبال والمدن الهائلة تمخر فى عرض البحار وقد نبشت آثار الملوك الذين ظنوا أن لن يصـل اليهم بشر ولن يعبث بقداسة قبورهم عابث ، بربك فـكر فى الراديو ، فى التلفزون ، فى عجائب الطب ، فى غرائب الميكانيكا ، وفى كثرة الاختراعات التى تجل عن الحصر وقل لى الا يدهشك ذلك واذا سألت عن سر هذه القوة فاعلم أنها العزم .

ولله در الشاعر إذ يقول :

ماشاب عزمى ولاحزمى ولاخلقى ولا وفائى ولادينى ولا كرمى

وكل من اجتمعت فيه هذه الخلال فهو جدير بالاكبار والاجلال

الاستعداد

(أوعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)
(قرآن كريم)

إن فى هذه الآية العظيمة حكمة بالغة ومعنى كبيراً وقد عمل بها المسلمون فى أيام عزهم فـكان من أمرهم ما كان وأغفلوها اليوم فوقعـوا فى أشد العـذاب ، عمل بها المصطفى يوم بدر وعمل بها سعد بن أبى وقاص يوم القادسية وعمل بها خالد بن الوليد يوم اليرموك ولمـا أعجبتهم كثرتهم يوم حنين فشلوا فـكانت لهم امثولة قاسية بعـد ذلك اليوم . وهذا عمرو بن العاص يخرج فى سرية يرأسها ، فيها أبو بكر وعمر فيفـكر ولـكنه كان يجتنب متابعة العدو لئلا يقع فى كمين ويمتنع عن ايقاد النار لئلا يلاحظ العدو قلة عددهم وهو ما يسميه الغربيون « المسئولية » والعلم بها بخـلاف أكثر الشرقيين اليوم الذين تراهم وقد وضعوا كأس الشاى فوق دفاتر الحساب وكـدسوا الأوراق بلاترتيب وخلطوا الحـابل بالنـابل ولم يفـكروا فى حاضر ولاقابل وقد نسوا أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقف حجر عثرة فى سبيل فصل مصر عن الجزيرة العربية بالمـاء (بالقناة المشؤمة) فحفظ الشرق فى حرز حريز الى يوم رمت مصر بهـذه السياسة عرض الحائط ولم تسمع نصيحة عرابى باشا الذى نظر بعين عمر العظيم فرأيت ما أصاب مصر والشرق من ويلات ولولا حزم محمد صلى

الله عليه وآله وسلم وأصحابه الكرام فى تدوين القرآن لأصابه ما أصاب الانجيل من الضياع

من استعد لحوادث الدهر بات آمناً مطمئناً قرير العين هادىء الجأش ناعم البال واليك الامبراطورية البريطانية فان عدم الاستعداد والتهور اضاع من يد الانكليز الولايات المتحدة فكان هذا الحادث لديهم كيوم حنين عند المسلمين . ولذلك احتلوا جزائر فالكلاند وسانت هيلانة للدفاع عن افريقيا الجنوبية ثم اتخذوا مضيق سنغافورة وهونج كونج وجزر بورنيو وغينيا الجديدة للمحافظة على استراليا وزيلاندة الجديدة ، وقبضوا على جبل طارق ومالطة وقبرص ومصر وفلسطين والعراق وجنوبى اليمن مع عدن وميون وسقطرة والساحل الغربى والبحرين للمحافظة على الدرة العظيمة فى تاج ملك الانكليز «الهند» واخذوا نيوفوندلاند وكندا وجعلوها الثالوث الامبراطورى الذى قلبه « الجزر البريطانية » . وبذلك امنوا على امبراطوريتهم من ساطيات الدهر وعاديات الزمان وبعد أن أمنوا سبلها منعوا عنها غارات الاعداء وامنوا الثورات والعصيان فى داخليتهم ، وكل ذلك نتيجة امر واحد هو الاستعداد

ولا يجهل أحد استعداد المانيا الهائل إبان الحرب العظمى حتى تمكنت من مقاومة جميع دول الأرض تقريباً متألبين عليها ٤ سنوات ولاتزال ويلات تلك الحرب المشؤومة ونتائجها السيئة ماثلة امام اعيننا إلى اليوم ولولا ان المانيا اعدت العدة لتلك الحرب الجهنمية منذ سنة ١٨٧٠ لما كانت تمكنت من عمل تلك العجائب فى مقاومة العالم بأسره ولو انها لم تستعجل فى اعلان الحرب سنة ١٩١٤ م وصبرت الى أن يحين الحين لكانت ضربت اعداءها الضربة القاضية . وهذا هندنبورغ آله الحرب عند الالمان مكنه استعداده الهائل ودرسه لروسيا وحالتها وطرقها وسبلها ومستنقعاتها من القضاء المبرم عليها فى الحرب الكبرى حتى آل أمرها بعد الثورة الى ما آل اليه . وما الاستعداد إلا التفكير فى العواقب والنتائج والاخذ بالأحوط لما قد يأتى به الزمان فى مستقبل الايام من حوادث لم تكن فى الحسبان فالبواخر الاوروبية تستعد للحريق بوسائل الاطفاء ولحوادث الغرق بوسائل النجاة من كاوتشوك يطفو على الماء وقوارب متينة تقاوم الانواء وغير ذلك . ولكنك لاتجد شيئاً من هذه المعدات فى السفن العربية إلا نادرا واذا مازرت المدن الراقية المصطبغة بالصبغة الاوروبية دع عنك الغربية نفسها فانك تشاهد فيها المحاجر الصحية ووسائل منع العدوى لمقاومة الأوبئة كالجدرى والطاعون والكوليرا والملاريا وتجد الاطباء الاختصاصيين وهكذا قلت الامراض المعدية

فى الغرب وتكاثر السكان بينما هذه الامراض الفتاكة لاتزال تبيد عشرات الألوف فى الممالك الشرقية وقد اخبرني والدى حفظه الله انه شاهد مقبرة واسعة فى تعز تعرف بمقبرة الاطفال حيث دفنت جثث الوف الاطفال فى بضعة اسابيع وذلك اثناء مرض وافد من الامراض المعدية رغم ان تعلم العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وطلب العلوم العصرية جميعها بما فيها نظرية داروين وفلسفة أنشتاين : يعد من فروض الكفايات على الامم الاسلامية فى صاحب دينها القويم الذى يتمشى مع الزمان ويجارى روح العصر فى كل أوان أنعم به من دين واكرم به من رشاد رضيه الله جل وعلا لعباده على لسان اكرم خلقه « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » ولكن اين هم المسلمون الذين يعملون بأوامر هذا الدين الذى سن لنا تعلم جميع العلوم العصرية من قبيل الاستعداد للطوارىء فصار على كل مسلم من اقدس الواجبات وفيها تعلم الرسم ورسم الخارطات على وجه الخصوص وعمارة الحصون والقلاع واتقان الهندسة المعمارية والميكانيكية والطب والبيطرة والكيمياء والطبيعيات وعلم طبقات الارض والصنائع العديدة والفنون وعلم الآثار وعلم الأحجار والفلك الدوار والملاحة البحرية والجوية لانها تجعل الانسان مستعداً اذا ما أزمع عدو على مهاجمته وخصوصاً الشرقى الساكن فى البلدان الغنية بالكنوز والدفائن والمعادن والمناجم التى التفت اليها الغربى بهمة قعساء فاستثمرها إذ وجد الشرقى غافلا عنها غير مستعد للدفاع عنها ، وكذا قل عن الاستعداد التام للمرض قبل استفحاله لأنه خير من التداوى بعد أن يستعصى ويصعب مقاومته كاعداد الشعب للمستقبل بتعليم النشء وتثقيفه وتغذيته بلبان الوطنية التى تحضر جيشا يذود عن الكيان اذا ما ظهر العدو شاهراً سلاحه فى الميدان ولو استعدت الصين يوم قام « صان يان صن » ينبهها من غفلتها لما كانت اليوم اليابان ابتلعت منشوريا ، ولا ينفع الندم بعد فوات الفرص

وليعلم القارىء الكريم ان اعداد الابناء بالتربية الصالحة والتهذيب يعود على العائلة بالخير الكامل فى المستقبل وما سبب شقاء جميع العائلات البائسة فى الشرق ، وما سبب ضياع الأوطان والذل والهوان الا عدم الاهتمام بتثقيف النشء وإصلاحه منذ الصغر لأن العلم اكبر عدة لمكافحة تيارات الزمن وكوارث الأيام وأما المال بغير علم فانه يذهب هباء منثوراً وتأكله نيران الجهل فيضمحل هو وأهله ، ولذلك تجد المدارس فى أوروبا لها المقام الاول عند الشعوب المتمدنة تخصص لها الصحف قسما كبيرا من الاعمدة الرئيسية منتقدة للبرنامج مطالبة بالتحسين والاصلاح عارفة أنه فى المدارس يستعد الشعب لمنافسة الأمم فى ميادين الأعمال لتنازع المكانة وتبوء المقعد فى ذرى

المجد ولذلك نرى الاستعداد على أتمه للاختبار فى الجامعات وللفوز فى التحصل على الشهادات العلمية العالية من الكليات المعتبرة والاكاديميات أو المجامع المشهورة ولقد أصبح الاستعداد فى اكثر المدن الحديثة على أتمه للمباريات الرياضية حتى صارت أجسام الرياضيين كالحديد أو أشد قوة ، والغربيون مولعون بالاستعداد للزعامة وقيادة الجيوش والمزاحمة التجارية بدرس علم الاقتصاد حتى لقد تنبأ الخواجه بيس عن الازمة الاقتصادية الحاضرة قبل وقوعها بسنوات كانه كان يراهـا بعينيه ولذلك صرف جميع مخزوناته من البضائع بخسارة بضعة ألوف وفرت عليه خسارة الملايين لو لم يفعل ذلك فعمله اذن كان نتيجة التفكير فى العواقب بعين البصيرة المبنية على العلم والتجارب

لو القيت نظرة على مدينة عدن وما يجاورها من البلدان لألفيت الجهل ضاربا خيامه فى طـول البلاد وعرضها والناس فى سكرة الغفلة غير آبهين لما يحيط بهم من أخطار ، فالأطفال فى الأزقة كالجراد المنتشر لا يؤمون مدرسة سوى النزر اليسير منهم (٣٠٠٠ طفل يذهبون إلى المدارس من ٩٠٠٠ طفل فى عدن) والشبان يسرحون ويمرحون غالباً بلاغاية فى هذه الحياة والبؤس مخيم على رءوسهم أما جهـل النساء فحدث عنه ولاحرج وكل ذلك جهل مشين يضر بالناس ويدهورهم حتى انى استغرب كيف لايفهم الناس انهم بتركهم أولادهم فى دياجير الجهل وظلمة الانحطاط الأخلاقى كانهم يسحقون بأيديهم جميع ماتعبوا وكدوا وجدوا فى جمعه من أموال طائلة لأبنائهم ولذلك لايـكاد المورث يوارى فى التراب حتى ترى الولد أصبح سـادراً فى غلوائه منتجعاً بؤر الفساد مبدداً جميع تلك الثروات التى كد والده وكـدح لجمعها فيالله من جهل الاباء

اذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

واين اغنياء عدن من المستر فورد اغنى رجال الدنيا قاطبة الذين أعد ولده بالعلم لحياة سعيدة سـتترك اثراً على صفحات التاريخ يخـلد ذكر العائلة إلى ماشاء الله ، ولله در البوصيرى حيث يمدح سيد الـكائنات قائلا

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

ولـكن أغنياء العرب لايتعظون بما يرون بأعينهم فى كل لحظة من تبديد التركات على موائد القمار وفى بارات الخمور واحضان الغوانى حتى انقرضت اكثر العائلات أو كادت

رب ان الهدى هداك وآيا تك تهـدى بها من تشاء

ان واجب الشرقيين اليوم هو أن يحذوا حذو الغربيين فى الاستعداد للطوارئ ولا يوجد طريقة اجدى وأحمد من تعلم الناشئة والبنات بنشر الثقافة الاسلامية والشرقية عموماً وبث العلم وتشجيعه والبذل بسخاء لعمارة المدارس والمعاهد العلمية وارسال البعثات من نجباء الشبان الى أروبا للتخرج فى كلياتها لاعلاء كلمة الشرق والاوطان .

إنما الشرق بالجهالة عبد فارفعوه بالعلم حتى يسود

اما الاستخذاء والجمود والخمول والجبن فستقودنا حتى الى البقاء فى ذل الاسر ماتعاقب النيران فالخلاص منوط بتعلم العلم بلا جدال

لم تقم امة بسوقة جهل انما الأمة الرجال العظام

وها أنا اسوق للقارىء الكريم حادثة تاريخية تصور اهمال العرب فى الاندلس واستعداد الافرنج اثناء ذلك ونتيجة ذلك الاهمال المشين والاستعداد الجهنمى حتى ضاع ذلك الملك من ايدى العرب .

ذكرت بعض المعاجم ان براق بن عمار القائد الاندلسى عدو الله ذهب الى روما وقابل رئيس الفاتيكان وكان معهما دوق فينيزيا ، فقال لبراق : ان البابا قد استدعى جميع المفكرين فى اوروبا ليشاورهم فى الطرق الناجعة لاسترجاع الاندلس من ايدى العرب فقال براق خائن قومه ووطنه : ان الاسد لا يصاد فى عرينه الا بالمكر والخديعة وقد يستعين الصيادون بالخمر للقبض على ليث العرين ولا يفل الحديد إلا الحديد ثم ذكر اخلاق العرب وكرمهم وشدة تمسكهم بالدين وقال للبابا : ان العرب يخدعون بسهولة وتستهويهم الظواهر الخداعة فاجعلوا بينكم وبينهم معاهدة على : (١) حرية الدين (٢) حرية التعليم (٣) حرية التجارة .

فان لم يتبعوا دينكم فهم على الاقل . . . .

يهملون دينهم فيفقدون حمية الاسلام التى تحبب اليهم الجهاد والذود عن الاوطان والاعراض ، واما حرية التعليم فانها ستولد لهم غلمانا شؤما عليهم يكرهون الاوطان والآباء والأجداد ويلتصقون بمعلميهم ، واما حرية التجارة فانها ستجعلهم يهجرون ازياءهم الاسلامية وقيافتهم العربية وثقافتهم الشرقية . فضلا عن تجارة الخمر التى شاعت بينهم اقدموا على المنكرات وفقدوا النخوة والشرف وضعفت عقولهم واجسامهم ، ومتى ارتبكت احوالهم فانهم يكونون لكم لقمة سائغة تستبيحون دماءهم واموالهم ، ولاتنس ان البذخ والاسراف فى الشهوات وإهمال سيرة الآباء والأجداد هى من اقوى

أسباب انحطاط الممالك القوية وتفكك عرى الروابط القومية وقد قبل ملوك العرب فى الاندلس تلك المعاهدة رغم نصح الناصحين فباءوا بالخسران . لأن القسيسين انتشروا انتشار النار فى الهشيم واخذوا يبثون سمومهم حتى انهم شيدوا ضيعة جميلة على ضفة نهر قرطبة وسط البساتين الغناء والحدائق الزاهرة

فكانت منتزهاً جميلا للعظماء والامراء والشبان أيام الآحاد ، حيث ترى ضروب الخلاعة ، وأقام دوق فينزيا على حسابه الخاص أربع مدارس تبشيرية فأقبل العرب عليها اقبال الأرض على أوائل القطر وامتزجوا بالرهبان امتزاج الماء بالراح وأخذوا عنهم لغاتهم وعوائدهم وأخلاقهم ، خصوصاً لأن أحد النواب المعروف بابن ذى النون أطلق لدعاة النصرانية الحرية يعيثون فى الأرض فأخذ الناس يشربون الخمر ويهجرون المساجد حتى أن أحدهم اشترى عنباً من قرطبة ولم يبق شيئاً من حاصل السنة بكاملها (وكان أحد الرهبان المثرين) وعصره جميعه خمراً وأقسم أن لايسقيه الا للمتعلمين من أبناء العرب فى مدارس المبشرين فخرج شبان قحطان واحفادعدنان وشربوها جهاراً فى ضواحى قرطبة وخلعوا رداء الحياء والحشمة وحقروا عوائد الآباء ولبسوا الحرير ونبذوا الصوف والشعر وأخذوا يذهبون الى العاهرات فى حانات النزلاء الدخلاء ويتهالكون فى عشقهن حتى أن المعتصم بن صمادح عشق فتاة رومية واغتصبها من أبيها فاستجار أبوها بجندل بن حمود فجرت بينهما حرب شعواء أبادت الزرع وأهلكت الضرع واستنجد بدوق فينزيا على أخيه العربى ابن صمادح فقهره واحتل الأعداء بلاد المعتصم بن صمادح وأقيمت لهم الولائم على مرأى من بقية ملوك الاندلس المسلمين وهم ينظرون فلا يبدون ولا يعيدون ، وعاد الدوق فينيزيا الى البابا بالبشرى وقال له لقد آن أوان الانقضاض على العرب بعد هذا التفرق وكان عدد المبشرين فى الاندلس الفاً والمعلمين ٤٨٥ وقد صرف البابا نصف مليون من الذهب الوهاج لترويج الخمر فقط بين أبناء يعرب وهكذا جاءت جيوش النصرانية فاحتلت بلنسيه ونهبت المدينة وفضحت الأبكار أمام آبائهن والسيدات المصونات أمام أزواجهن الذين غادروا البلاد تاركين المال والبنين خشية القتل بعد أن قتل من العرب ١٣ ألفاً لدفاعهم عن أعراضهم فقط وثلاثون ألفاً لامتناعهم عن اعتناق النصرانية وأحرقت المعاهد الدينية وحولت المساجد الى كنائس وجلس ابن الاذفونش على تخت الاندلس فأحرق ٨٠٠٠ من كتب المسلمين وقتل ٤٠٠٠ عربياً قرباناً للمسيح

أعندكم نبأ من أهل أندلس   فقد سرى بحديث القوم ركبان

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم … أسرى وقتلى فما يهتز انسان
بالأمس كانوا ملوكا فى منازلهم … واليوم هم فى بلاد الكفر عبدان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم … لهالك الأمر واستهوتك أحزان

وهكذا استعد الافرنج للعرب فقضوا عليهم وأركن العرب الى الخمول فأصابهم مارأيت .

اغتنام الفرص

جاء فى الأثر عن سيد البشر « اغتنموا الفرص فأنها تمر مر السحاب » ولكننا لا نفهم شيئا من ارشاد المرشد الأعظم ولا نتدبر أسرار حديث الحكيم الاكبر ، ونحن لو فعلنا لكنا من المفلحين . واذا ما نظرنا الى الغربي نجده لا يترك فرصة الا استثمرها وهذا الحاج عبد الله فلبي يغتنم صداقة الملك عبد العزيز بن سعود بالأمس فيخترق الربع الخالى ويعود الى بلاده بأكاليل من الغار وتاج من الفخار وكذا الدكتور بترى المبشر فى « الشيخ عثمان » بجوار عدن يغتنم فرصة مرض حفيدة الامام يحيي فى تعز فيرافق البعثة الطبية كمستشار للطبيبات ويعود حاملا تقريراً عن اليمنيين يقول فيه انهم قوم يعتقدون بالخرافات والاوهام وكرامات ابن علوان الخارقة وما شاء له هواه أن يتقول به عن اليمنيين الذين اكرموا مثواه

ان كل حديث من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يثبت لنا أنه لا ينطق عن الهوى وان كلامه أصدق حديث بعد كلام الله وفى الحديث الذى افتتحت به هذا الموضوع من الحكمة الرائعة ما لو تدبرناه وعملنا به لفزنا فوزاً عظيما ، ماذا عمل ديزرائيلى ليملك مصر وهو ذاك السياسى الانكليزى النابغة ؟ انه اغتنم فرصة بيع حصص قناة السويس فاستحوذ على اكثرها وبذلك ملك مصر رغم أن الذى فتح قناة السويس هو افرنسى وكان يظن ان أمته ستستثمر جهوده وستملك أرض النيل ولكن ديزرائيلى « ترك دلسبس » يحرق الأرم ويتمنى لو أنه لم يكن فتح باباً واسعاً للانكليز للاستعمار . وكيف ربح الانكليز الحرب الكبرى ؟ انهم اغتنموا فرصة غرق الباخرة لوزيتانيا فأقاموا حول ذاك ضجة هائلة سحبوا بها امريكا الى الحرب فى جانبهم وهكذا قضوا على المانيا ولو كانت الهند ومصر والعرب وغيرها اغتنمت فرصة الحرب الكبرى لكانت استقلت عندئذ ولما اضطرت الى الكفاح الذى نشاهده

اليوم ولكن المفكرين فى الشرق قليلون ومغتنمى الفرص أقل، والذين يدونون العبر للفائدة العامة فى الشرق يعدون على الاصابع . أما فى الغرب فان الكتب السرية التى بيد المأمورين وأهل الوظائف الحكومية لا تحصى لأن الغربيين يتربصون بالشرقيين الدوائر ويوم تفرغ خزينة ابن سعود يساطون عليه الدويش ثم ابن رفادة ثم غيرهما وبذلك ينتقصون الجزيرة من أطرافها وهذا دأبهم فى الحبشة والهند وفى كل بلدة قضى عليها سوء الطالع باحتلالهم لها أو مجاورتهم اياها

ان أوربا خضعت لنابليون لأنه كان يعرف كيف يغتنم الفرص ، ملك أيطاليا بتسلق جبال الألب وهى فرصة لم تخطر لأحد ببال ، وملك المانيا باختراق الغابة السوداء ودهور النمسا بتحطيم الجليد تحت أقدام الجيوش النمسوية الجرارة وعاد من مصر عند غفلة الأسطول البريطانى . ورجع من جزيرة البا عند ما أهمل حراسه حراسته ولكن روسيا اغتنمت فرصة بعده عن بلاده والبرد القارص الذى وقع فيه رجاله فاحرقت مدينة موسكو وتركته بين ابليس والبحر العميق كما يقول الانكليز

ولكن الانكليز لم يتركوا له فرصة لعبور المانش والا لكان قضى عليهم وكان يسميهم «أهل الحوانيت» ولقد ندمت انا مرة على فوات فرصة لو اغتنمتها لكنت اليوم احمل احسن الشهادات من جامعات الانكليز فى الحقوق . ولكن مرض زوجتى « أم على» اعاقنى إذ ذاك عن القيام بذلك الى أن ماتت رحمها الله

وقد ذهبت تلك الفرصة ادراج الرياح وها انا اليوم «تاجر» اضع هذ الكتاب وانا فى بلاد الصومال حيث لا نوادى ولا جمعيات ولا مكاتب ولا كتب أرجع اليها بل اكتب كل ما اتذكره للعبرة والذكرى ، ولقد أعجبنى الاستاذ احمد محمد سعيد الأصنج حين سافر الى جقجقة لبعض الاعمال فجعل طريقة على هرر ودردوة ثم لاحت له فرصة الرحلة الى أديس ابابا فلم يضيعها لانه قد لا يتمكن من زيارة الحبشة مرة اخرى فى المستقبل كما هو الواقع وكان قبل هذه الرحلة قد تمكن من السفر الى عواصم أوربا مغتنماً اسعد الفرص

———

النظام والترتيب

كثيراً ما يعيب الناس على الرجل اندفاعه فى الكلام بلا تروٍّ وتسرعه فى العمل بلا تبصر وكثيراً ما احدث الاندهاش وعدم الترتيب اختباطا هائلا فى الاجتماعات العامة والحفلات العمومية أو فى أثناء الحريق وساعات الغرق أو عند انسحاب الجيوش أو فى ساعة الدفاع فى المحاكم واستجواب الشهود وفى غير ذلك من المواقف الحرجة التى تتطلب ثباتا ورباطة جأش

صور أحدهم مرة دماغ نابليون فقسمه ادراجاً تحتوى على السياسة والجندية والبحرية والقضاء والشئون العامة الداخلية والشئون الخاصة الشخصية ، ثم قسم كل درج الى بضع خلايا مرتبة ترتيباً فنياً بديعاً ومنسقاً تنسيقاً جميلا يجعل الناظر يعتقد أن مثل ذلك الداهية لم يك ليفشل فى أعماله وخططه لولا معاكسة الأقدار والتهور

عرفت الأستاذ عطا حسين مثالا للنظام والترتيب فى جميع أعماله يعد العدة للسنة من أول يوم فيها بل قبل حلولها بأسبوع فيضع لنفسه برنامجاً يسير على جادته وقلما يضطر الى مخالفته فيتمم عمل كل يوم فى ذلك اليوم غير تارك لليوم الآخر أى عمل من الأعمال التى يجب اتمامها فى اليوم السابق ، وهكذا عرفت الخواجة بيس العصامى الافرنسى فان تراكم الأشغال بين يديه لايعيق قيامه بالألعاب الرياضية وكثرة واجباته لاتمنعه عن ملاحظة مستخدميه والسؤال عنهم وفحص أشغالهم وما ذلك إلا لأن الغربى تعود أن يضع كل شىء فى محله ويقوم بكل واجب فى حينه ، فاذا ماوصله خطاب وضعه فى الملف المعد له عند وصوله . أما الغربى اليمنى وغير اليمنى مثلا فانه يجمع خطاباته التجارية خطاباً فوق خطاب السنة إثر السنة وإذا ماجاء يوم الحاجة الى أحدها تراه مضطراً إلى تقليب أوراقه وفحصها ورقة ورقة منقباً عن ضالته المنشودة بين الاوراق المكدسة بعد أن اختلط الحابل بالنابل ، وهكذا يضيع عليه وقته الثمين سدى وقد لايجد مايريد فتراه كئيباً مهموماً كثير الاشغال التى خلفها لنفسه بعدم ترتيبه لايجد فرصة للمطالعة ولا لحضور الحفلات الأدبية ولا للرياضة ولا للنزهة . وطالما تعرض لاستنشاق الغبار المتطاير من بين تلك الأوراق القديمة وطالما مرض بسبب اهماله . الغربى يحفظ عادة فى جيبه دفتراً للمفكرات يدون فيه واجباته فى كل أسبوع ولذلك فانه يبر بالوعد ويحضر الدعوات فى الوقت المعين ، أما الشرقى فقد تعود أن

يعد وعوداً كثيرة ولايبر بواحد منها ، وهكذا بلغ الغربي درجة الكمال ووصلنا نحن الى أحط الدركات لأن عدم استعدادنا للحوادث من جراء اختباط أحوالنا وعدم ترتيب أمورنا يجعلنا نخلف الوعد وننكث بالعهد ونضطر أن نقسم الاقسام ونقدم الاعذار الواهية ارضاءً لمن نسميهم أصدقاء . أما الغربي فانه اذا ماقصد أن يعد ولايفي أعد العدة لذلك وقد سحبنا لمساعدته في الحرب الكبرى واخراجه من المهالك بعد أن تعهد لنا باستقلال العرب، ولكن لما تم له ماأراد نكل ، ولما طالبناه أخرج عصاه وقال اصمتوا ! وطالما شاهدت رجالا يصمتون عن الاجابة على خطابات أهلهم وذويهم البعيدين عنهم ويتركونهم على أحر من جمر الغضى وكل ذلك لعدم ترتيب أشغالهم وتنظيم أحوالهم .

خذ خطابا من أوروبا تجده بالغاً الدرجة القصوى في الحصافة والدقة والنظافة والنظام الجذاب بخط جميل ومداد واضح أو مكتوبا بالآلة الكاتبة المتقنة، ولكنك قلما تجد ما يضاهي هذه الخطابات بين خطوط الهنود والصينيين ولاأذكر اليابان لانها قد بلغت شأوا رفيعا في التمدن الحديث وعرفت من أين تؤكل الكتف اذ لايخفى على اللبيب الحاذق مافي ذلك من الدعاية التجارية العظيمة لهذه الامم

لاحظت منذ سنين ان اوراق دعوات الزواج في عدن تصدر مفعمة بالغلطات المطبعية بحجة انها تطبع في مطابع اجنبية ولكن أصحاب الدعوات لماذا لايكلفون أنفسهم تصحيح غلطات المصفف حتى صارت بعض الغلطات مما يمجها الذوق السليم وتأباها الاسماع ، ولطالما كانت سببا للامتناع عن اجابة الدعوات ، وسبب كل هذه العيوب الخلقية هو الكسل الصرف وعدم التعود على اتقان الاعمال وعدم الرغبة في بلوغ الكمال . وكذا قل عن اعلانات الصور المتحركة والتمثيل حتى في مدرسة الحكومة وفي ادارة البلدية وغيرها

لاريب ان اخلاق اليمنيين هي مثال الاستقامة والنزاهة والشرف ، ولكنهم بعدم ترتيبهم يخسرون كثيرا من ثقة الناس بهم . فانك اذا وصلك خطاب تجاري من الحديدة أو قعطبة مثلا تجده ملفوفاً على بعضه وقد تلوث بعرق الجمال ولون النيل واصبح من القذارة بحيث لا يصلح ان يبقى وثيقة في ملف معتبر ، وكذا قل عن نظام الحسابات التجارية فانها عند العدنيين على وجه الخصوص بلا ترتيب ولا إتقان ، ولهذا فانك تجد العرب عرضة لاهانة جابي رسوم الارباح وكواهلهم مثقلة بالرسوم رغم أنوفهم وهم لو نظموا ادفاترهم وحساباتهم لمادفعوا دانقاً واحداً خصوصا في هذه الايام القاسية أيام ١٩٣٣م التي لم

يعرف التاريخ اياماً اقتصادية عصيبة مثلها ، واذا سألت صديقاً عن سبب اهماله قال لك انه يريد أن يتخلص من دفع الرسوم ولا يعلم أنه يقع من حيث يريد أن يتخلص ، وان عدم ترتيب الحسابات التجارية على القواعد والاساليب الفنية قد أودى بعشرات التجار الى مهاوى الافلاس واليك الاسباب :

المرء عرضة للنسيان حتى انه لينسى ذويه وأقرب الناس اليه اذا غابوا عنه بضعة أيام وأسابيع فما بالك به لا ينسى النظريات الاقتصادية والاستنتاجات المالية اذا لم تعرض أمام عينيه فى كل لحظة ، ولذلك فان التاجر الذى يتبع الطرق المنظمة لا تعزب عن ذاكرته النظريات الاقتصادية بل تجده يرى فيها كل يوم حكمة جديدة وابتكاراً مفيداً ويترك هذا العمل ويأخذ بذاك متى وجد الربح هناك أكثر

عرفت تاجراً عربياً كان يرى الخراب فى عمله يعمل كل يوم بمعول فعال ولكنه كان مستمراً لا يفكر فى العاقبة حتى أفلس ، اليس عمله مثيراً للحنق ؟ اليس انه نتيجة جهله المطبق ؟ ينتظر الفرج من لحظة الى أخرى دون أن يفكر فى الخروج من المأزق . لقد كان غير منظم فى اموره غير مرتب فى حساباته ولذلك مضى يحسب الديون الهالكة ديوناً حية حتى وجد ذات يوم خزينته فارغة بل ضحية لجهله وغروره ، وهكذا بلغنى عن رجل من أهالى جقجقة سمع الناس يتسابقون الى مشترى جلود الفهد فهرع لمشترى ٢٦٠ جلداً منها باسعار عالية بدون سابق معرفة بهذه الجلود وفى عشية أوضحاها اضاع رأس ماله كاملا وجن وهو اليوم مكبل بالحديد ، فتفكر !

لو أخذنا مثلا نضربه لأنفسنا لأخذنا شركتين تجاريتين من أعظم الشركات على وجه البسيطة وهما شركة شل ، وشركة سنجر الأولى للغاز المكرر والثانية لماكنات الخياطة وفكرنا ملياً فى أسباب نجاحهما وصدهما لتيارات الزمان كل هذه الأعوام لوجدنا انه لم يأخذ بأيديهما الى ميادين الفلاح والغنى الفاحش سوى النظام الهائل الذى تسير عليه هاتان الشركتان فى جميع الأعمال ، اذ لها أنظمة مقررة تحتم على كل عامل من عمالها أن يسير فى ضوئها ولا يخالف تعاليمها المطبوعة فى صدور خاصة لكل فرد من أفراد الشركة ومتى قام العامل بواجباته مرة على ذلك المنوال أصبح انجاز الأعمال على تلك الطريقة عادة مستحكمة فيه لا يتأتى له مخالفتها ، وبهذه الوسائل النظامية عاشت هذه الشركات وربحت ، ولهاتين الشركتين وأمثالها نظام احصائى هائل لجميع الواردات والصادرات تعرف بواسطته مايستهلك من حاصلاتها ومن حاصلات منافسيها فى ميدان العمل وتعرف جميع الاصناف التى تستهلك أكثر من غيرها فى

السلع والامد الذى تحتاجه لينفد والاثمان التى يحيل الناس لدفعها وغير ذلك من الأمور الاقتصادية حتى سيطرت على ناصية الأعمال. وللتخصص فى التجارة والصنف أثر كبير فى هذا النجاح ولكنه تخصص كامل فليست المسألة مسألة بيع جاز فقط ولكنها تصريف مئات الحاجات من المواد السائلة الملتهبة فلشركة شل مثلا جاز النخلة وجاز الغزالة وجاز الشمس المشرقة وبنزين شل وبنزين الطيران والزيوت العديدة للدهن والزفت وغير ذلك مما لا يقع تحت حصر وكذا قل عن شركة سنجر وما تصرفه من ماكنات وأدوات ومراوح كهربائية وغير ذلك من الحاجات الدقيقة الصنع كالخيط والابر والمقراض والمقالم لأن الترتيب هو الذى يضمن لها عدم اختباط الأحوال واضطراب الأمور ،

انا نجد لكل دولة متمدنة أنظمة بديعة تسير عليها وتتبع نهجها : فهذه الدولة الانكليزية ماستقامت الا على دستورها العجيب الذى رقى بها الى أعلى مراتب المجد واليك البيان :

الملك هو رأس الدولة بيده مقاليد السلم والحرب ومصير الامبراطورية وتأييد قرارات البارلمان أو ارجاء تنفيذها ، ويليه مجلس الشورى للعموم وللوردات متى اتفقا على قرار نفذ ومتى افترقا أو اختلفا اضطر مجلس العموم ان يقرر ذلك فى ثلاث جلسات متوالية فى كل الشئون المتعلقة بالتشريع والضرائب ، وهناك وزراء مسئولون تناط بهم الشئون الداخلية والخارجية والجيش والبحرية فالخارجية لها وزير خاص يتعلق به وزير المستعمرات ووزير الهند وسفراء الدول وقناصلها الخ كما تناط به مخابرة الحكومات الأجنبية وادارة دفة السياسة الدولية ويتعلق بوزير الداخلية وزراء المعارف والحقانية والمواصلات ويتعلق بوزير الجيش وزراء وقواد ، وبوزير البحرية آخرون وكلهم يرجعون الى الصدر الاعظم ، وهذا يرجع الى الملك ، وكلهم مسؤلون أمام الشعب ولكن القارىء الكريم اذا رجع الى بعض الممالك الشرقية يجد ملك اليمن المفدى الامام يحيي هو الكل فى الكل ، وكذا الملك عبدالعزيز آل سعود وغيرهما من ملوك الشرق الذين يطلب منهم الشرقيون القيام بأعمال تعجز عنها عشرات من صناديد الرجال ، وسبب كل هذا نسياننا للواجب ولو قام كل فرد منا بواجبه بأمانة واخلاص لكنا اليوم فى أسعد الأحوال ،

إن للمبشرين نظاماً مخيفاً فى بث الدعاية للنصرانية ولولاه ماقدروا على غش أحد من الناس ولكنهم يؤسسون المدارس والمستشفيات ، ويطبعون الكتب ويدسون فيها

السم النقيع ويخطئون ويعطون وهم يتباكون على المنابر كل يوم حتى يقلدهم الناس تقليد القرد لسيده فيسرى عفنهم الى قلوب الجهلة والأطفال والنساء الرقيقات الشعور . ولولا ايمان الوالد محمد عبد الله حسن رحمه الله وجهاده العنيف فى بلاد الصومال لكان المبشرون اليوم فازوا وأفلحوا ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون

ارجع الطرف أيها القارئ الكريم الى عصر نابغة الدهر الامام عمر بن الخطاب رضى الله عنه تجده يدون الدواوين ، ويرتب الأعمال والشئون المالية على أتم القواعد وأكملها وكذا كان الحال فى عصر العباسيين الذهبى وعصر الاندلس الاسلامى أما اليوم فأكثر أمراء الشرق وملوك آسيا وافريقيا يصرفون أكثر أوقاتهم لمصالحهم الخاصة ، لا يأبهون للشئون العامة ولا يتفقدون احوال الرعية الا نادراً ويصانعون بطونهم وحشمهم وانغماسهم فى ميادين الشهوات . وهكذا اهملت أمورنا وضاعت أوطاننا حتى لقد رأيت أمير جانكوار فى الهند غائبا عن بلاده اشهراً عديدة فى أوروبا غير عالم بما يجرى فيها من أمور تجب عليه أن يسهر ويتعهدها بنفسه ناسياً قول نبى الانسانية صلى الله عليه وآله وسلم «كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته»

ان سر التقدم الأوربى كائن فى نظام تربية الناشئة وتهذيبها وفى أساليب التعليم الحديثة التى قام يدعو اليها أمثال العلامة « ديوى » الامريكى الشهير وفى تعلم علوم الفلسفة المدنية أو كما سماها بعضهم علم السلوك الانسانى التى اتت الافرنج قوة الملاحظة وتمرين مدارك الناس

سافرت مع أحد تجار حضرموت من بربرة الى جكجكه من أعمال بلاد الصومال مسافة ٤٥٠ ميلا ذهابا وايابا فى وديان وقيعان وسهول وحزون ورمال وحقول وقرى ومدن وبوادى بأشجار وأطيار وغياض وأزهار ، فكان حضرة الرفيق يشرع بالنوم عند سير السيارة حتى نصل الى احدى المحطات ، ومتى استأنفنا السير استأنف النوم ، فمتى وصلنا الى مدينة جنح الى الراحة فلا يغادر مكانه الا لنقوم فى السيارة مرة أخرى وهكذا دواليك حتى عدنا الى بربرة والشيخ لم يعرف من رحلته سوى اسم مدينتين « هرر وجكجكه » واسم رجل واحد قابله فى كل مدينة ولم يستطع بعد الاياب ان يقول لنا هل كانت الارض زراعية أم جرداء خالية أم رملية وهذا هو حال جميع اخواننا من عرب وهنود وصوماليين ، فانهم لا يكادون يعرفون بعد طول الغياب والاغتراب فى أوربا وامريكا وافريقيا واستراليا وآسيا سوى اسم « مارسيليا » « ولندن » وهذه حقيقة واقعة

سافرت في ذلك الزمن نفسه بعد رجوعي من جقجقة الى مدينة برعو وكان معنا تاجر وضابط من الانكليز وقد لاحظت أن التاجر الانكليزي تمكن في بضع ساعات رغم عجرفته وسوء خلقه من تدوين أسماء المحلات التي مررنا بها ودرس الارض وجبالها وماءها وأشجارها وحيواناتها ونظام معيشة أهلها واخذ صوراً عديدة للمناظر الطبيعية وقبل تمام الرحلة سمعته يكلم الصوماليين بلغتهم فتدبر !

الاسفار

حثنا الله تعالى في كثير من آيات القرآن الكريم على الضرب في ربوع المعمورة والاستفادة من النظر في الكائنات الحية ومخلوقات الله التي لا تحصى والتي لا يتأتى لأي إنسان أن يراها جميعها في بلدة واحدة أو حتى في قارة واحدة رغم جنينة الحيوانات ودار العجائب (المتحف) الذي اتخذته بعض المدن الكبرى لتوفر على قومها وبنيها مشاق الاسفار ووعثائه . وفي الاسفار من المنافع والاعتبار ما يفوق الحصر ولله در شاعر الفرس حيث يقول :

« بدريا در منافع بيشمارست أكر خواهي سلامت دركنارست »

وخلاصة المعنى أن الدر النقي في قاع البحر، واما من اراد سلامة روحه فليبق على الشاطيء . وما احسن قول الزهاوي :

الغرب ابناؤه عزوا اذا نزحوا والشرق اهله في أوطانهم هانوا

وفي هذا البيت من الحكمة البالغة والموعظة الحسنة ما يخلد الذكر الجميل للشاعر العراقي الفيلسوف

لقد أولع العرب أيام عصرهم الذهبي بالأسفار وجوب الأقطار فقطعوا الفيافي والقفار، وركبوا متن البحار، واخترقوا بطون الجبال وعمروا الامصار وفاتحوا الارض واقتبسوا العلوم واضافوا اليها بنات افكارهم وعصارة ارائهم وأظهروها في حلل قشيبة ومدنوا الامم ونشروا الدين الاسلامي والثقافة الاسلامية، وبفضلهم أصبحت بلاد الصومال وأفريقيا الشرقية وجاوا وغيرها مسلمة ولكن :

أولئك أبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع

لقد زالت تلك الدولة وانقرض أبناؤها الأمجاد وقام الغرب على انقاض الشرق

وحذا أبناؤه حذو الرجال السابقين وأتوا بالعجائب ، هـذا ماركو باولو الرحالة الرومانى يغادر ايطاليا ويصل الى الصين فيأتى عنها بأغرب الأخبار ويشوق رجال الاقدام الى اقتحام الاخطار فلم تلك الا عشية أو ضحاها ، وإذا بأبطال المغامرات يبارحون الأوطان ويرحلون الى أقصى البلدان ، واذا بكولومبوس يكتشف أمريكا وماجلان يصل الى جنوب القارة الاميريكية الجنوبية وداقيس يصل الى شمال القارة الاميريكية الشمالية .

وسرعان عقب ذلك ما وطئت قدم فاسكو داجاما الهنـد وقدم القبطن كوك استراليا وان تعجب فاعجب لاقدام السير فرنسيس دريك وهو يقطع المحيطات الثلاثة على سفينته الشراعيه ويتبع خطواته البوكيرك القائد البرتغالى فيصل الى أبواب عدن ثم يشمر عن سواعد الجد والعمل رجال الحرب والطعن والضرب وأرباب السيوف والاقلام وطلاب المغانم والارباح ، فلم يمض ردح من الزمن الا وقد نبغ أمثال اللورد كلايف والقبطان دباكس فى الهند والقبطان « ولف » فى كندا والقبطان هاينس فى اليمن وأمثال هؤلاء الرجال هم الذين أسسوا الامبراطورية البريطانية على أسس لا تزعزعها تيارات الأيام . ومما لا جدال فيه أن أصل الاسطول البريطانى هو الاسطول الذى كان يملكه القرصان فى عهد الملكة اليصابات وهى التى شجعت الملاحة البحرية وأنجبت فى عهدهـا الاسطول البريطانى الذى قضى على الآرمادا الاسبانية أعظم أساطيل القرون السالفة فى أوروبا ، فما أعظم تلك النفوس الهائمة بحب المجـد وتلك الأرواح الطائرة الى ذرى الفخر المضحيـة بكل مرتخص وغال وبالنفس والنفيس لاعلاء شأن الأوطان ولاكتساب الهيبة والعظمة والجلال ، حتى دانت لها الدنيـا ونكست أمامها الرءوس وانحنت أمامها الشعوب احتراما ووقارا أو خوفاً ولكن أولئك الابطال المغاوير من تجار ومبشرين وقرصان وسياسيين وجنود ما قاموا بتلك التضحيات الا بعد أن عرفوا قدر المجد وقيمة الأوطان شأن كل أمة ثارت فيها روح العبقرية والنخوة القومية والنار الوطنية ، فقامت تشيد صروحاً للمجد وتبنى دوراً فخمة الرفعة ، ثم أخذت من العلم قسطا وافراً ، وتحلت بفضائل الاخلاق حتى برز منها أمثال لفنجستون يخترق القارة السوداء ولا يتوانى عن المجازفة بروحه فى سبيل تحقيق أمانيـه ويظهر فيها « برد » يحاول اختراق غياهب القطب الشمالى حتى وقف العالم بكامله أياما كاتماً أنفاسه مراقبا نتيجة هذه المجازفة والاقدام النادر

أفبعد هذا نستغرب تسلط الغربى على مرافق العالم المتمدن واستسلام الأمم لقوة

ارادته ؟ لقد شق الاوربيون لانفسهم طريقا آمنة في وسط غابة مسبعة وبين شعوب هائجة بعد أن أخضعوها بقذف الرعب في قلوب الأمم ، وحمل الاغماد بسود عقولهم بان العربي لا يهاب ولسان حال الباغي يقول

ولو أرسلت رمحي مع جبان   لكان بهيبتي يلقى السباعا

ينقسم السفار العربيون الى أقسام عديدة وهم

الاول . المهاجرون الى المستعمرات التي تملكونها أو تملكها غيرهم من الدول الاوروبية طبقا للمعاهدات الدولية ، فان لايطاليا مثلا أن يهاجر أربعون ألفا من أبنائها في كل سنة الى اسرائيل ومثلهم الى أميريكا ، وهكذا من الألمان وغيرهم من الشعوب اللاتينية والسكسونية والسلافية واذا أراد انكليزي أن يهاجر الى كندا فان الدولة البريطانية تقدم له المساعدة الكاملة في تخفيف أجرة الباخرة التي تقله الى تلك المستعمرة النائية وتقدم له رأس مال لا بأس به لتوطد لنفسه عملا في المهجر ، وأما اذا أراد أجنبي أن يهاجر اليها وكان من السمر فان العراقيل تقف حجر عثرة في سبيل تحقيق أمانيه وأما اذا كان من السود يعني شرقيا فمحظور عليه السفر أو المهاجرة الى كندا أو الولايات المتحدة أو اسرائيل أو افريقيا الجنوبية أو زيلانده الجديدة أو غيرها من البلدان التي تقرر اتخاذها مهجراً لأبناء الناصر فقط فما هول طمع الانسان وشدة استبداده

ان أوروبا لا تقدر أن تعيش بدون الشرق الا إذا نافست سكانها لأن حاصلاتها لا تفي بمطالب أهلها الذين تكاثروا حتى ضاقت بهم الأرض على رحبها خصوصا انكلترا التي تنتج ربع حاجات سكانها فقط وتضطر الى جلب بقية حاجاتها من المستعمرات النائية وكأننا في هذه الانحطة تسمع المعاول والمحارث تعمل بهمة ونشاط في البلاد الهولاندية لردم الزويدرزي وما ذاك سوى الانقضاض على الأوقيانوس تنقض ونه من اطرافه ويلتهمون منه قطعة لانسان بها تعمرونها وتزرعونها لأن الهولانديين لم يجدوا مجالا لمنافسة كبار المستعمرين لضموا الى الهند الشرقية هندا غربيه إلا في قلب البحر . ان هذه المنطقة لن تمر عليها ردح من الزمن إلا وقد أصبحت رياضاً غناء، فما أعظم هذه النفوس العالية الشماء نفوس الغربيين الذين ضربوا الارض بأجنحتهم وقبضوا على أرجائها بمخالبهم ، واحتكروا خيراتها لأنفسهم ولأحفادهم في الاجيال القادمة وزعموا أنه لو أحداً غيرهم من بني الانسان لا يعيش معهم في أرض الله ، ابتلعوا كل ما جادت به الطبيعة من خير عميم فقضوا على رفاهية العالم المتمدن وعلى التعاون

البشرى والرحمة الانسانية وسدوا الأزمة العالمية الحاضرة التي أرهقت النفوس وأرهقت الأرواح

ولكن ماذا استعد الشرق لمقاومة هذه القوى التي تحير الافكار ؟

والقسم الثاني من السمار الغربيين هم المستخدمون في المستعمرات وهم على وجه الاجمال من الطبقة الثالثة في القوم يغادرون الأوطان متى صادفت بهم رحابها كجند وضباط ورؤساء للادارات السياسية والحربية والاشغال العمومية وأخلاق هذه الطبقة عادة لاتكون أنموذجاً أخلاقياً صالحاً فان أكثرهم تكون الى الاستبداد أقرب منه إلى العدالة والأدب فهم يحتقرون الشرقي البائس وينظرون إليه شذرا ولو علا قدرا . وأما المعلمون فيهم فانهم يصرفون همهم الى التنقيب والدرس والتأليف كما فعل الكولنل جيكب الانكليزي مؤلف كتاب ملوك العرب فانه أحب اليمن والعصبة اليمنية وهو اليوم يدافع عنها بكل قواه في البرلمان الانكليزي وقد قرأت له رسالة بين فيها لدولته أن اليمن أمة محدودة يجب أن يؤبه لها وتحترم حدودها

والقسم الثالث هم التجار وهم عادة طبقة مهذبة راقية مالا لا بأس بعلوم دونها وطالما وجدتهم يهتمون كيف يعاملون الناس لأن المصلحة تقضي المجاملة وأكثرهم قد طاف أقطار الأرض وتغلغل في قلوب الممالك وقد ساحوا في أنحاء الدنيا لم يهمهم بلاد تمكنهم أن يربحوا فيها وهم يحملون الامتعة الى الصين واليمن والحجاز الى أفريقيا وبلاد العرب وجزر الهند الشرقية والهند ويتجرون تجارة في الحديد والجلد المصنوع والادوات الكهربائية وآلات التصوير والادوية والأقمشة غير أن الشرقيين بدأوا اليوم ينهضون من كبوتهم ويستفيدون من سباتهم ولذلك فانك تجد تجارة منتشرة تكاد تدور في أسواق الصين والهند وقد اصطحبت تجارة البر الامريكاني في الحبشة والصومال تماما وحل محلها البر الالماني والصيني والهندي ونوعا ما الانكليزي وصار البر الانسي المحمودي

وللتجار الافرنج نظام اقتصادي منظم في كل فنون التجارة غيرها وفي طرق الكسب خصوصاً لهم شركات هائلة للتأمين وأنظمة بديعة للاعانة وهم ينفقون بسخاء وسخاء في معاشهم الى حد الاسراف ؛ لأن ذلك يخفف عنهم عبء المتاعب في البلدان الشرقية حيث الحرارة شديدة بالنسبة الى برودة الطقس في أوروبا وجودته

رابعاً الرحالون وهم قسمان · قسم يرمي الى درس مهبط الوحي ومهد التمدن . الشرق الجميل — حيث الاهرام والتاج محل ورابودا وحيث التقوى والورع والزهد والتقشف

والتصوف وحيث النقوش والعمارات وحيث الصبر والجلد وحيث آثار المجد الدائر والعظمة الزائلة والخمول الحديث والجمود العتيق — وحيث العجائب والغرائب والكنوز الدقيقة والميادين الفسيحة والروائح العبقة — فيأتي منقباً دارساً مدوناً للعبر معترفا ان كان من أهل الانصاف بما للشرق من حقوق وفضل وهذا سرتوماس آرنولد يصدر كتابه أخيرا Legacy of Islam التراث الاسلامي فينسب الفضل كله في مدنية أوروبا اليوم الى المسلمين قائلا : انه لولا الحروب الصليبية ولولا الاندلس العربية لما كانت أوروبا على ماهي عليه اليوم وفي مثل هؤلاء الرحالين ورجال التاريخ تجد الخلق المتين في ثبات وإقدام وعدم كلال وشجاعة نادرة . وقد أخبرني السيد علوى ابن أبي بكر العطاس أن دكتورا ألمانيا وصل الى برهوت في حضرموت فدخل في تلك المغاور وتغلغل في أعماقها رغم الاعتقاد السائد بين الحضارمة أن الشياطين تسكن هذا المحل والابالسة تكتنفه وانه مطلسم لايدخله انسان الا ابتلعته المردة والعفاريت لقمة سائغة ، ولكن الدكتور الالماني خريج الجامعات وربيب الاكاديميات المتشبع بالنظريات والحكمة والمنطق لم تؤثر تلك الخزعبلات عليه فولجه آمنا مطمئناً وعرف مافيه وبقي يجوس خلاله ٦ ساعات متواليات ثم خرج بعد أن ظن رفاقه الظنون ، وكان التنابلة يعتقدون أن الجن أكلوه في ذلك الغار ولكنه خرج مع خارطة تشرح هذا الأثر الطبيعي الذي لم يدخله أحد من أبناء حضرموت غير العلامة السيد محمد بن عقيل رحمه الله لأنه كان مثال الثبات والفهم والادراك لاتزعزعه خرافات الجاهلين ولاتثبط عزمه قصص المخرفين .

وأما القسم الثاني فهم طلاب الشهرة والجاه والمغانم والراحة وتبديل المناخ ومكاتبو الجرائد وهؤلاء لانعرف عنهم غير القليل

خامساً الخبراء — أن تقهقر الشرق أدبياً كل هذه الاجيال يضطر بعض الممالك التي في إبان نهضتها الى استخدام بعض أهل الخبرة في الطب والهندسة والميكانيكا والمعارف والاقتصاد والحقوق والزراعة والمالية ولايوجد في العالم في أيامنا هذه أكفأ من الغربيين في هذه المظان بيد أنهم نادراً مايكون الاخلاص شعارهم خصوصاً اذا كانوا ينتسبون الى دول مستعمرة . وقد رأيت بعض الكتب السرية التي يكتبها أمثال هؤلاء الرجال فيضعون فيها من الاسرار عن البلدان التي يخدمون فيها مالا يقدر أن يعرفه أحد سوى دولة ذلك الخبير ويكفي أن يعرف القارىء الكريم أن طبياً ألمانيا اكتشف دواء ناجعا لمنع مرض النوم المؤدي الى الموت من سم ينفثه نوع من

الذباب يسمى « تسى تسى » فى منطقة الكونجو من أفريقيا وعندما عرضت عليه الدولة المالكة الملايين لمشترى هذا الدواء أبى أن يجود به ويحقن دماء ألوف الضحايا بهذا المرض العضال الا اذا كانت تلك المقاطعة تعطى لدولة المانيا ! !

قال أحد قناصل هولاندة ذات مرة : اذا أراد اليمن خبراء فعليه بتجربة رجال من سويسرا والدنمرك والجمهورية الفضية اى الارجنتين والسويد ، لأنه ليس لها أغراض استعمارية ، ولكنى أقول انه فى اليابان والهند ومصر وسورية وتركيا رجالا لو جربناهم لكان عملنا أجدى وأنفع ، لأن الشرق بدأ يشرق فى سماء الرقى وينبذ رداء الخمول

سادساً المبشرون — ماهؤلاء الناس على وجه الاجمال سوى جرثومة فساد جروا على شعوب الشرق الويلات فهم يبارحون أوطانهم الى كل ربع من ربوع الأرض على حساب جمعيات تبشيرية يحملون فى قرارة أنفسهم الخطط الجهنمية لاغوائنا وتغيير اعتقاداتنا وسلبنا أفلاذ أكبادنا ووضعنا الى الأبد تحت نير الاستعمار ، (اقرأ رواية المؤلف التمثيلية « حبيب الله خان والمبشرون فى جريدة العرب فى سنغفورة وجريدة الصراط المستقيم فى بغداد) وخلاصة الخبر أن قوماً من المبشرين قصدوا الهند وطلبوا من نائب الملك السماح لهم بالسفر الى افغانستان لفتح مدرسة ومستشفى لخدمة الانسانية وهذه هى الذرائع التى يتوسل بها هؤلاء الناس لبلوغ أغراضهم ، فكتب النائب المذكور الى الأمير حبيب الله خان ذلك الملك الشرقى المحنك فأجابه : أنه القوم اذا أحبوا زيارة بلاده فعلى الرحب والسعة على شرط أن لا يتدخلوا فى الدين أو السياسة . وهكذا شدوا الرحال حتى حطوا عصى الترحال فى كابول عاصمة الأفغان وهنالك قوبلوا بالترحاب والتكريم وبعد أيام قابلهم الأمير فعرضوا عليه مقاصدهم الانسانية مما جعله يتعجب عجبا لامزيد عليه اذ رآهم يهتمون ببلاد لايمت اليهم أهلها بصلة قرابة ، ولا يتصلون بهم بنسب أو معتقد وقد كان جوابهم ان الجامعة هى التى تدفعهم لخدمة الناس مهما تباينت أديانهم وتباعدت أوطانهم وأنه ليس لهم من وراء ذلك لامغنم ولا مقصد سياسى أو دينى غير وجه الله الكريم وقد جاءوا بمئتى ألف ربية لفتح المدرسة وعمارة المستشفى ، فلم يسع الأمير الا اكبار هذه التضحية وعين لهم عقب ذلك مجلساً تناظروا فيه مع أطباء البلاد وعلمائها فوجدوا الناس فى تنور ظاهر وتقدم باهر ولكنهم احتجوا بأنهم انما جاؤا ليعمموا المعارف ويرفقوا بالمريض ، فاتقدت فى قلب الأمير نيران الوطنية وتنبهت فيه عاطفة الانسانية أكثر من كل زمان مضى فأضاف الى ما بأيديهم من الأموال مثلها ولما عزم على القيام بالعمل وجدهم قد بدأوا يبذرون بذورهم

التبشير بين الناس فما كان منه الا أن أمرهم بمغادرة بلاده . وقد اعادوا الكرة كما شرحت أعلاه فى أيام المرحوم محمد سيف الاسلام فى الحديدة فانكشفوا فطردهم كما كشف السيد عبد القادر الحسينى الجامعة الأميريكية فى مصر منذ عام واحد .

قال لى أحد المبشرين مرة انه يستغرب خطابتى ضدهم مع انهم لم يسيئوا الى . فقلت له : أين وطنك ياحضرة القس ؟ فأجاب : انه الدانمارك التى تبعد ٧٠٠٠ ميل عن عدن فقلت وماذا جاءبك الى هذه المدينة الجرداء ؟ فقال : انه تحمل المشاق والاتعاب لنشر كلمة الله فقلت له : أمن ٧٠٠٠ ميل تأتى إلى عدن لنشر كلمة الله على اعتقادك ولا يكون فى عملك غرابة وأسير أنا ١٠ خطوات من بيتى الى المسجد لأدعو الى الله على اعتقادى فتستغرب منى ؟ فافحم !

ماذا اكتسب الغرب من الأسفار وماذا جنى من الثمار اللذيذة ؟

الغربيون ألفوا الأسفار وألفوا الكتب وشرحوا فى بطونها مشاهداتهم وتاريخ الممالك والامم ووصف عاداتهم وأخلاقهم وجمعوا من رحلاتهم الاموال الطائلة والعلوم الكثيرة وجمعوا كنوزاً لاتأكلها النيران واستعمروا بلدانا صارت لهم تراثا وأوقافاً حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا .

الاتحاد

قامت فرنسا فى القرن التاسع عشر تريد أن تسيطر على العالم وعلى رأسها نابليون بونابرت يدير دفة شئونها ويقود أبطالها الى ميادين المجد ، فما كان من أوروبا الا ان تألبت عليه واتحدت ضده فقاومته انكلترا وفرانسا واسبانيا والمانيا والنمسا وبلجيكا وهولانده وروسيا وغيرها مما أدى الى زوال دولة نابليون . وفى القرن العشرين أعاد التاريخ نفسه باتحاد دول الغرب على غليوم الثانى حتى سقطت دولة آل هوهنزولرن ودولة آل هابسبرج ودولة القياصرة آل رومانوف ودولة آل عثمان وتأسست بعد ذلك جمعية الامم وميثاق كيلوج ومعاهدة لوكارنو ومؤتمر نزع السلاح ومؤتمر ديون الحرب وكل هذه المؤتمرات تدل دلالة قطعية على استعداد أوروبا دائما للانضمام لبس على الاجانب فحسب بل حتى على أعدائهــا من أبنائها اذا ما لاحظت أن أحدهم يريد أن يستبد بها ، وقد وجدت بالأمس، ولكن بعد فوات الاوان، انها أرهقت المانيا بالتعويضات عن الحرب العظمى وأن ذلك جر على اوروبا الخراب وعلى العالم

الدمار ، فاجتمع أقطابها فى لوزان وقرروا إلغاء تلك الديون الباهظة واحلال مبلغ مقرر محلها تدفعه المانيا وهاهم اليوم يأتمرون كل لحظة ودقيقة فى لندرا حول المائدة المستديرة وفى أوتاوا وفى لوزان لتقرير مصير منشوريا أو لانتشال النمسا من وهدة الافلاس أو لاقتسام الغنائم أو لحل المشكلات ، اما الشرق فلايزال فى سباته لا ينتبه وأهله أجدر بمثل هذه المؤتمرات . ما بال الشرق لا يحن على أخيه الشرقى ؟ فهـذه فلسطين تستغيث وهناك بخارا تحتضر ومأساة طرابلس تدمى العيون وصدى الظهير البربرى يوغر الصدور وويلات الهند تؤلم القلوب وخروج مصطفى كمال وجماعته من حظيرة الدين الحنيف يدمى الافئدة ؟ هل مات الشعور الحى فى أهل الشرق والاسلام ؟ هل انطفأت جذوة القومية وخمدت نار الوطنية ؟ هل انعدم الوجدان ولذلك ضاعت الاوطان ؟ ما بال السيوف قد علاها الصدأ فى أغمادها والقلوب تحجرت فى صدورها والعيون جمدت فى محاجرها ؟

الا نفوس أبيـات لهـا همم — أما على الخير أنصار وأعوان

فهل بعد هذا الانحطاط والتخاذل لا نزال نتساءل بماذا تقدم الغربيون ؟

الاوربى حريص على حقوقه ضنين بها لا يتنازل عن مثقال ذرة منها وهو حر صريح يجاهرك بحقه ويطلبه ولو من فم الاسد ويقيم الدنيا ويقعدها اذا لم ترد اليـه حقوقه بل انه يتصلب فى طلب ما ليس من حقه . ومثل أسوقه اليك للاعتبار :

اعتقل الهيلوسلاسى الرأس طفرى ملك الحبشة أحد أتباعه الذين خالفوا الرأس هيلم فلما سجنه جاء سفير ايطاليا يدعى أن الرأس هيلم معه « باسبورت إيطالى » وأنه بذلك يعتبر من رعايا إيطاليا منذ نيف وثلاثين سنة ثم طلب السفير الافراج عن الراس هيلم وألح وعرضت المسألة كما فهمت على جمعية الامم التى لم تجد مناصا من انكار تبعية الراس هيلم لدولة الطليان ، والمسألة اليوم من أعقد المسائل المطروحة أمام الراس طفرى وقد تؤدى الى امتشاق السلاح لأن الافراج عن الراس هيـلم معناه تسليم مقاطعة جيجام الغنية التى يرأسها هذا الراس لايطاليا وسلخها عن أمهـا الحبشة وهو ما قاتل عنه منليك الثانى ودفع عنه ايطاليا فى القرن الفائت

فهل رأيت أيها القارىء كيف يعد الغربيون العدة للزمان وكيف يتحينون الفرص وكيف يتمسكون بحقوقهم ان كانت تصلح ان تسمى حقوقاً ويدعون الباطل عنـد الحاجة ويسمونه حقا ؟

دخل احد كبار الافرنج مرة على مصطفى كامل باشا رسول الوطنية المصرى فشاهد

امام مكتبه عدداً كبيراً من الجرائد العربيه فسأله عن مواضيع بحث الكتاب في ذلك الزمن فقال له ذلك الابن البار بأمته : ان اهم موضوع يطرقه الكتاب هو «الاتحاد» فاستغرب الافرنجي ذلك قائلا . ان هذا الموضوع مفروغ منه في أوروبا وان الناس هنالك يتحدون طبعه وقد أسسوا الشركات التجاريه والجمعيات التعاونيه وألفوا الاحزاب الكبيره والنوادي الفعالة وهو قول لا مريه فيه فقد اتحدت انكلترا وفرانسا وايطاليا وتقاسموا أفريقيا وهي القارة الثانيا في العالم ومساحتها ١١ مليون ونصف مليون ميل مربع وسكانها ٢٠٠ مليون من النفوس كلهم يأتمرون بأمر الدول الثلاث الفاتحه وأقسام صغيره لاحقه بالبلجيك والر[illegible] اما المسلمون والمصريون والسوريون والهنود وغيرهم فلا يزالون [illegible] في صحفهم وكتبهم كما كان الحال في عهد مصطفى كامل رحمه الله

لا ترجع الانفس عن غيها   مالم يكن منها لها زاجر

الاوروبي يعرف كل شارده وارده عن بني جنسه في ربوع الارض قاصيها ودانيها ، يتجشم الصعاب للاتصال بهم بالمكاتبات والمخابرات وقراءة الجرائد ومطالعه الكتب والرحلات والسهر الطويل في النوادي والمجتمعات ولطالما قرأت باهتمام خطابات تلامذة المدارس الاوربيه والاميريكيه الموجهه الى أبناء العرب في عدن وغيرها ليتصلوا بهم ويعرفوا ماهم عليه من أخلاق ؛ لان الكتابه عنوان الكاتب ، وبعد هذا نجد أبناء المسلمين منهم في اليمن والحبشه وبلاد الصومال وغيرها لا يعرفون صحيفه ولا يقرأون مجله ولا يسألون عن اخوانهم ولا يهمهم الا أنفسهم ناسين الحديث الشريف « من لا يهمه أمر المسلمين فليس منهم » لا يكتبون لأحد حتى وان كتب لهم ويبخل الحكام منهم بثمن اشتراك في جريده أو مجله أو نادي أو مدرسه

قال لصديقي الأديب الشاعر المحرر والكاتب القدير الشيخ علي بن احمد باكثير   ان الامه العربيه وكثير من امم الشرق لا بد لها بعد الاستقلال من قرنين كاملين لبلوغ الشأو الذي بلغته أوروبا اليوم لان هذه كانت في سنه ١٧٣٣ م أرقى من شرق الساعه لو استقل اليوم فقال : ان الشرق سيقتبس مدنيه الغرب الماثله أمامه وأن اليابان ارتقت في أقل من نصف قرن فقلت ان الغرب أيضاً وجد أمامه حضاره العرب العظيمه ومدنيه الرومان الزاهيه وعلوم اليونان المحسنة وان لليابان في سماح أرضها وهيكل أهلها وصلابه مواتها وغزاره أمطارها وجوده أرضها وخصب مزارعها ماليس للعرب ولا للفرس ولا للافغان ولا لمصر ولا للهند التي تكاد تكون

فقـيرة من الموانىء الحصنة لايواء أسطول يصد عنها غائلات الزمان ولا أنكر أن الشرق قـد يبلغ الجوزاء فى أيام قلائل ولـكن من يضمن لى أنه يستعيد أخلاق أجداده الامجاد ؟ ولو فكر المنصف البصير لوجد أن اليابان لاتزال فى أول درجات الرقى وانها لم تبلغ الى مابلغ اليه الالمان والافرنسيس والانـكليز من أدب رائع وفلسفة وحكمة وطب وهنـدسة ، ولا بد من مرور الاحقاب واقتحام العقبات قبـل ذلك ولنعد الى موضوع الانضمام والتساند :

خذ نظام الزكاة فى الاسلام ، خذ نظام الاوقاف فى الاسلام ، خذ نظام الجهاد فى الاسلام ، خذ نظام الصلاة فى الاسلام ، خذ نظام الحج فى الاسلام ، خذ نظام الزواج فى الاسلام ، تجد العجب العجاب ، تجد فى هذه الانظمة التى شرعها الله لعباده وضمنها أسس النجاح والفلاح والرفاهية والسعادة والقوة والمنعة ، بل أس الوحدة المنشودة التى لا انفصام لها ولا أقول للشرق بكامله أن يتحد فان ذلك غير ممكن فى هذه الساعة المضطربة بل لا يمكن ان يتحد كل المسلمين دفعة واحدة الا اذا بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرة أخرى

ان إيطاليا كاثوليـكية فاشيستية وانـكلترا بروتستانتية رأسمالية وفرانسا لادينية مادية ، فاتحاد هذه الامم دينياً غير ممكن بل هو المستحيل بعينه ولـكنهم قد يتحدون عند اقتضاء المصلحة كما شرحت آنفاً

ما أحسن نظام الحج فى الاسلام حيث يجتمع الناس فى صعيد واحد ، يلبون تلبية واحدة ، و يؤدون نسكا واحداً ، ويؤمون قبلة واحدة ، شىء عجاب وأمر مستطاب اذا ما قسناه بتفرق المسلمين سياسياً وقومياً ومذهبياً ، وكذا قل عن نظام الصلاة وتساوى الناس فيها ووقوفهم خاشعين قائمين ، راكعين ، ساجدين ، حامدين فى آن واحد وبينهم الملك والفقير والأمير والصعلوك ، وعندنا نظام الزواج الوحيد من نوعه بين الشعوب البشرية كما عندنا نظام الزكاة البديع الذى لو أخذت الامم بمقتضاه لما كان هنالك شيوعية ولا اشتراكية ولا بلشفية ،

ليت شعرى أى جامعة أعظم من جامعة الاسلام ؟ وأى وحدة أقوى من رابطة التوحيد « لا اله الا الله » مبدأ الدين الاسلامى وأساسه و « قل هو الله أحـد » لفظة الاخـلاص وطريق الخلاص « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقـكم » وقال جـل وعـلا « وخلقناكم من ذكـر وأنـثى وجعلنا كم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ولقد أمرنا الله بالاتحاد التام بقوله « ولا تفرقوا فتفشلوا

وتذهب ريحكم » وقد خاطب الناس بقوله « يأيها الناس » لأن البشر تجمعهم الرابطة الانسانية قبل كل اعتبار آخر ولكن المسلمين اهملوا العلم أهمالا مشيناً وغيروا معالم هذا الدين العظيم بأيديهم وأدخلوا فيه ماليس منه وشوهوه بكثير من البدع فأطفأوا نور العلم وساروا يتخبطون فى دياجير الجهل مما قادهم الى وهدة الانحطاط وهاوية الهوان فقوم صرفوا همهم الى المعاش وظنوا أن الدين ليس سوى طقوس وضعها الفقهاء ، وآخرون انصرفوا الى المعاد نابذين المعاش ظهريا ولما لم يجدوا ما يقوم بأودهم حصل عندهم الشك فباءوا بالخسران وانقلبوا حشرات ضارة مع ان الله تعالى أوصانا بالمعاش والمعاد وقال سبحانه من قائل عليم ورب عظيم « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » لان الدنيا ذريعة ومطية للآخرة واليوم المضمار وغداً السباق والسبقة الجنة والغاية النار ، فالدنيا والآخرة وحدة لا تتجزأ ولا سبيل الى الاخرة وسعادتها بدون العمل الصالح فى الدنيا ، فهذا هو الدين وهذا هو التوحيد ولكن اين من يعى ويعمل واجباته ؟ والله لو عمل المسلمون واجباتهم لفازوا فوزا عظيما والله لا يضيع أجر من أحسن عملا

مابال دنيا المسلمين تأخرت أهناك شيء فى الخناق يعوق ؟

تأخر المسلمون لأنهم نسوا أو تناسوا ثقافتهم الاسلامية بالكلية ، أما الافرنج فقد استخلصوا ثقافة غربية من المدنيات البائدة واتبعوها بكل دقة وأصبحوا ولهم قيافة واحدة وكتابة تقريباً واحدة وأدب متلائم وعادات واحدة وأخلاق واحدة يعدون من ليس من دينهم عدواً لهم عملا بقول الانجيل « من ليس منا فهو ضدنا » يسيرون فى ضوء المبادىء والنظريات فان منرو الشهير قال كلمته الخالدة : « أميركا للاميريكان » فكانت القول الفصل الذى لا يقبل النقض وقد عمل بها جميع الاميريكان فحفظوا الاوطان من كل أجنبي وكذا المسلمون حفظوا بلادهم أحقاباً طويلة عندما كان فيهم عمر بن الخطاب وصلاح الدين الايوبى يسيرون وشعارهم أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يسكن الجزيرة العربية كافر بالاسلام وقوله عليه الصلاة والسلام: « ان الجزيرة لا تتسع لدينين » ولما أغفلوا أمر الذى لا ينطق عن الهوى أحاق بهم المكروه وأصبحوا فى ديارهم نادمين ، ضاع شرف الاسلام ، ضاع مجد المسلمين ، انفصمت وحدتهم ، تفرقت جموعهم ، تبدد شملهم ، ذهب عزهم ، وكل ذلك لضعف ايمانهم فى هذا الزمان وقد قال الخلاق العظيم « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » وقول الله حق ولولا ضعف الايمان لما رمينا بأخس أنواع الهوان!!

يوجد في البنغال ٢٥ مليونا من المسلمين لا يفهمون من أمور الاسلام سوى القدر اليسير واذا عددت أحدهم هندوكيا فرح بذلك للظهور بالهندوكية على الظهور بالاسلام رغم كثرتهم في البنغال كثرة ساحقة وما ذلك الا لأنهم ماله محصارهم على الهندوكيين وكذا قل عن الخوجة المنشقين عن الأسماعيلية فانهم في أحكام المواريث قالة على المذهب الهندوكي وهم مسلمون واذا ما أجلت الطرف في ربوع أفريقيا تجد ٣٠ مليوناً في الكونغو وعددا غفيراً في الصومال لا يفهمون شيئاً عن الاسلام وعلماؤهم مضغوط عليهم حتى انهم لا يقدرون على اشادة معهد علمي كما أخبرني الاستاذ عبد الحليم نذير ولا يسعني الا الاعجاب بما قاله كاتب الشرق الأكبر أمير البيان الأمير شكيب أرسلان في احدى مقالاته الخالدة في مجلة الفتح الغراء « ان تباين احساس المسلمين يقف حجر عثرة في سبيل تقدمهم » واني لا أرى للمسلمين طريقا للالتئام الا التحلي بالثقافة الاسلامية والعمل بوحدتها والسير على سننها

نظام الزواج الذي جاء به القرآن هو أعظم الانظمة وأبدعها في سبيل تحقيق الوحدة الانسانية فان الاسلام جعل النساء حبل الاتصال بين الامم فالرجل الذي يتأتى له الزواج بأكثر من واحدة وكذا اخوانه وكذا أولاده يتمكن من الانتساب الى شعوب وقبائل برابطة النسب التي تعد من أقوى الروابط الانسانية فتتحد المصالح وتقوى الوحدة ،

فانك لو اتحد المسلمون لتنفيذ نظام الزكاة وجعلوا لذلك مؤتمراً وجريدة يدعون إليها كل فاتحة لديهم باخلاص وأمانة كما كان الحال في زمن الخلفاء الذين تمكنوا بفضل محافظتهم على أحكام الدين الحنيف من فتوح العالم بأسره

يمكنك أيها القارىء الكريم أن تعرف أن ٤٠٠ مليونا من المسلمين لو دفعوا أقل الزكاة المفروضة على كل فرد منهم وهي زكاة الفطر لحصل لديهم في كل عام ٤٠٠ مليون قرش واذا ما أضفنا الى ذلك زكاة الأموال فحدث عنه عن البحر ولا حرج فبها كانوا يعملون العجائب ويسترجعون المجد الداثر ، واني لأشعر بشعور بحزن شديد في هذه اللحظة لتذكري إهمال المسلمين الدين واهمالهم الهائل الذي أودى بعظمتهم

وحدث عن نظام الاوقاف ولا حرج فان للمسلمين من الأوقاف ما لو نظمت لما ترك فقيرا معوزا ولا يتيما جاهلا ولكن الاوقاف الاسلامية أخنى عليها الذي أخنى على لبد وأكلها لصوص الاوقاف وامتلأت لذلك صديدا ورقوما وعساسا

مانتب بالحديث منهم بطون   وهي نار عطاؤها الامعاء

«ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»

لو كان للغربيين من الأنظمة كالتي وضعها الله للمسلمين لسادوا البشر وشادوا أكثر مما سادوا وشادوه ولكنهم اقتبسوا عن الاسلام كثيراً ، ألم يمنعوا الخمر في أمريكا من حيث شربه المسلم ؟ ألم يجيزوا الطلاق وقد منعته شرائعهم ؟ ألم يأمروا بنشر العلم رغم احتجاج الاكليروس ؟

بل وقد أسسوا الجمعيات الاشتراكية والتعاونية وغيرها حتى صارت لهم أنظمة بديعة نعجب بها ونريد أن نقتبس منها مع أن عندنا من ذلك مالا يتطرق اليه الخلل لانه منزل من عند الله

التخصص في العلوم والفنون

زار حضرة الاستاذ طه حسين لندرا وعند عودته أخبرني انه زار الدكتور HALL (هول) العلامة الانجليزي الشهير ، الرياضي البارع ، واضع كتب علم الجبر المشهورة فسألته بشغف عن معارف هذا العالم وقد كان دهشي عظيما عند ما أجابني أن هول يكاد يكون جاهلاً في غير العلوم الرياضية التي تخصص في دراستها وتدريسها ففهمت أن من أسرار تقدم الانكليز والغربيين عموماً تخصصهم في العلوم والفنون التي وجدوا في أنفسهم استعداداً تاماً لاتقانها بالفطرة ولذلك برزوا الى ميادين العمل وهم يحملون ألوية البراعة والاتقان وكيفية بناء المجد للاوطان ، ولله در الامام الغزالي حجة الاسلام حيث يقول : « ماناظرت صاحب علمين الا غلبته ولا ناظرني صاحب علم واحد إلا غلبني »

نجد في أوروبا المجلات الطبية وهذه تنقسم الى أقسام : فمنها المختص بالجراحة ، ومنها المختص بالأسنان ومنها الذي لايخوض في غير مرض العين ثم تقرأ المجلات الطبيعية في البايولوجي (علم الحياة) والجيولوجي (علم طبقات الأرض) والاثنولوجي (علم طبقات الناس) وكل مجلة تكاد تتخصص في أبحاث دون ابحاث في العلم الطبيعي وتترك لغيرها مجال البحث في الشؤن المختلفة ، وكذا الحال فيما يتعلق بالمجلات التاريخية والرياضية

والعلمية والفنية كالرسم والتصوير الشمسي والتصوير الزيتي والموسيقى والتمثيل ، ونحمد
الله أننا اليوم نشاهد بوادر النهضة الآخذة في القطر المصري وشقيقيه السوري
والفلسطيني كما هي في العراق وايران والهند والصين ، ولكن البون بين الشرق والغرب
لا يزال واسعا ونطاق العمل شاسعا . والدليل على ذلك أن أكثر الصحف العربية
الموجودة بين أيدينا هي سياسية صرفة وقليل منها الأدبية ؛ لأن الناس في الشرق
عموما لا يفهمون غالبا سوى التقلبات السياسية الماثلة أمام الأعين وشيء من الأدب .
والمجلات العربية عبارة عن مجموعات أو كشاكيل ليس الا ، واذا ما أخذنا الكتب
العربية الاسلامية نجد الفقهاء محافظين على التقاليد القديمة في التأليف مع أن الأجدر
بهم والأحرى بالعلماء اليوم أن يوجهوا جهودهم وهمتهم نحو دراسة مواضيع خاصة
ليتألف من ذلك قانون اسلامي عام أساسه القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه ولكن ذلك محتاج الى علماء ينبغون في شتى العلوم : كنبوغ سيبويه
في النحو ، والمتنبي في الشعر ، والبخاري في الحديث ، وابن خلدون في التاريخ ،
والحموي في الجغرافية ، وابن سيناء في الطب ، وابن العربي في التصوف ، وابن رشد
في الفلسفة ، والغزالي في الأخلاق .

كل قانون معروف بين ايدي الناس — يوناني أو روماني أو انكليزي أو هندي
وكذلك كود نابليون — هو من صنع البشر ونتيجة أفكار الملوك والفلاسفة
ولذلك نجد هذه القوانين متناقضة متباينة سريعة التغيير والتبديل ، وكم رأينا القاتل يقتل ولا
يقتل ، والسارق يسرق [illegible] بين أيدي المحامين والوكلاء ، ورسوم
المحاكم والرسوم الجمركية تثقل الكواهل خصوصا في المستعمرات . أما القانون الرباني
الكلام العزيز كلام الله ، القرآن ، فانه محكم الآيات ظاهر المعجزات واضح البينات
لا يقدر أحد أن يجد فيه خللا ولا غلطا مهما انتقد أو حاول الأفهام أو أظهر العناد ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا ، القرآن شريعة البشرية ، فيه الأحكام الرحمانية وشفاء النفوس
المريضة ؛ لا يوغر صدر المحكوم عليه ولا يترك الحاكم مستبدا بأمر العبيد ؛ لأن القرآن منزل
من عند الله وصالح لكل زمان ومكان يصلح ما أفسد الانسان ويرجع بالناس الى حظيرة
الرحمن وعبادة الديان ، لا يسمح للمحامي باستعمال حيله الشيطانية لابطال حق أو احقاق
باطل ولا يمنع صاحب الحق من المطالبة بحقوقه بسبب فداحة رسوم المحاكم الباهظة
التي طالما أودت بعائلات عظيمة الى الفقر المدقع والافلاس المخيف وهذه عائلة آدمجي
بير بهائي في بمباي صرفت ٢٠ مليونا من الربيات في الدعوى التي بينها وبين الأسقف

الدين أمام الاسماعيليه فى الهند ، وقد صرفت جميع هذه النقود التى لا تأكلها النيران للمحاكم والمحامين وأصبح أفراد العائلة يتضورون جوعا بعد ذلك الغنى العجيب

لقد كتب علماء الاسلام فى القرون السالفة المطولات ودونوا المجلدات والمراجع الكبيرة والمعاجم المفيدة وما على من أراد التخصص فى فن أو علم إلا أن يرجع اليها فيجد ضالته المنشودة متفرقة فى بطون الاوراق ، وعلى طلبة العلم بعد أخذ القسط الوافر من العلوم والفنون أن يتخصصوا فى الشئون التى يحتاج إليها الناس ، ولا يخفى أن للخبر والمتخصصين درجة رفيعة اليوم فى العالم : فالاختصاصى بمرض العين والاختصاصى بمرض الاسنان والاختصاصى بمرض الجلد والاختصاصيون بمرض العقل والاختصاصى فى فنون الميكانيكا والهندسة والقانون الجنائى والقانون المدنى يجعل لكل واحد من هؤلاء ميزة او درجة يسمو بها بين الناس ، ولقد أعجبنى ما كتبه السيد محمد رشيد رضا فى موضوع الخلافة فقد وفى الموضوع حقه . وما اشتهر العلامة الجليل ابن تيمية إلا لتضلعه فى شتى المعارف ومعرفته لها معرفة تامة ومن العار على المسلمين أن تكون المواد متوفرة لديهم والكتب الكثيرة موجوده بين أيديهم ولا يقومون بواجب جمع شتات المسلمين وتوحيد صفوفهم ، وقد كتب لى أحد كبار المستشرقين مرة أنه يخاف على الدين الاسلامى من النقد ؛ لان النقد أضاع الدين فى أوروبا فاجبته ان القرآن قد تحدى الامم ولا يزال وانه لا خوف عليه طالما الله حافظه وطالما عجائبه لا تنقض وجدته لا تبلى وان العالم العلامة هو الذى آتاه الله فهما فى القرآن وان النقد لم يزد الدين الاسلامى إلا اجلاء ووضوحاً .

ان التخصص اليوم شرط من شروط الرقى وفروض العلم اليوم تجعل التخصص لازماً ، فقلما وجد ناطبيباً ومهندساً فى آن واحد أو محاميا وميكانيكيا معا ، لان مايجب على العالم درسه لاتقان أحد هذه العلوم يمنعه من خوض غمار غيرها ، ويعجبنى فى الغربيين انهم لا يأنفون من الاعتراف بالعجز والاعتراف بالعجز فضيلة وقد قال لى يوماً الدكتور فاريافا الجراح الشهير خريج جامعة كمبردج أن معاونه الاصغر يفوقه علماً بأمر العين وعلى كل حال فلا بد من الاعتراف بأن التخصص فى علم واحد يحتاج الى طول أناة وعدم ملل وارغام النفس على الصبر ؛ لان التفنن يريح النفس لما تجد فى ذلك من لذة فالثبات اذن هو أس النجاح

الشعور القومي

لم أجد أمة من الأمم يفضل أفرادها نفوسهم تفضيلا على الأجانب كالأوروبيين فالإنكليزي يعتقد أنه سيد البشر وأنه أرفعهم قدرا وأعلاهم كعبا وهكذا بالنسبة إلى بقية الأمم المستعمرة، أما نظرة الشرقي إلى نفسه والأوروبيين فهو ينظر إليهم كأنداد ظاهراً ولكن بتكلف، لأنه في الحقيقة يعد نفسه أكبر منهم وأرقى، ومهما تكن من سذاجة الأفرنجي وبلاهته وجهله وغلظته فإنه يعد في نظر ابن جلدته أرقى من الشرقي وإن فقد كرامته وطاب أرومته الأمم إلا إذا اقتضت المصلحة المؤقتة الخروج عن هذا القيد ليس جهلا بفضل الشرقي وكرم محتده واستعداده الفطري للرقي ولكن تجاهلا فقط، وخوفا من أن يستشعر عزة في نفسه. ولذلك تجد أنه لا يستخدم في الإدارات العالية الوطنية غير الأجانب، ومن بين الوطنيين لا تجد سوى [illegible] والمقصد من ذلك أن لا يشعر الوطني بأنه أرقى علما ومداركا من سيده المستعمر ويظل إلى ما شاء الله يعتقد أن مولاه الأفرنجي هو رب الفضل والعلم والمعرفة فيكون ناشر فضله والمنوه بذكره، لأن الجاهل إذا ما عرف شيئا قليلا ظن أنه بلغ أوج الثريا وأنه الكل في الكل وإذا اعترف يوما بفضل غيره فثق أن ذلك الشخص يكون في نظره علامة الزمان ولو كان الإنسان في غاية الجهل

حضرت ذات يوم احتفالا بوصول أحد الولاة إلى إحدى المستعمرات فخطب بعض الناس يرحبون بالقادم ويطالبونه بنشر العلم فما كان منه إلا أن قال لهم إنه يذكر أن أحد رجالهم الذي كان من أعظم المساعدين على توطيد الاستعمار كان دائما يشكر الله لأنه لم يعلم شيئا من العلم لأن العلم يوسع نطاق المسؤلية الشخصية إذ العالم يحتم عليه تعليم الناس الجاهلين ومن هذا نفهم السبب أن الاستعمار يبغض نشر العلم بين الناس وأعظم مما ذكرت قول الوالي المذكور أنه سيعمل [illegible] لتأسيس شيء من المدارس في البلاد ولكن يجب أن لا يطالبه أحد بذلك بعد ذلك المجلس، وكان ذلك عين الاحتقار بل الاحتقار مجسما لأولئك الوطنيين الذين جنى عليهم الاستعمار جناية لا تغسلها مياه جميع البحار ألا وهي تركهم يرسفون في أغلال الجهل ويتخبطون في دياجيره

إن الأفرنجي قلما يعترف بفضل غيره لأن الفاصل الأولي بين الغربي والشرقي أصبح عظيما هائلا والسياسة فوق ذلك تقتضي كسر نفس الشرقي بالحط من كرامته وإنكار فضله وتثبيط عزيمته وإذا رأينا شذوذا لهذه القاعدة كإعطاء جائزة نوبل للشاعر

ربندرانات طاغور الطائر الصيت والدكتور بوزفا ذلك الامن قبيل تخدير الاعصاب والنفخ على الجراح

والآن قدآن أن يحذو الشرق حذو الغربي وان يعرف أنه ان لم يكرم نفسه بتكريم أخيه فلاعجب ان يبقى مهانا ومن لا يكرم نفسه لا يكرم . ومن كرم نفسه كرمه الكرام أجمع . ومن مبادىء الدين الاسلامى الاساسية ان « المسلم أخو المسلم » ان المسلم هو أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ولا يكذبه ولايحقره ومن هذا الحديث نفهم واجب تقديم المسلم للمسلم على غيره فى المعاملة وهذه اليابان اليوم تعمل فى هذا المضمار بصرامة وشدة هائلة فان اليابانى يشترى بضائعه من أخيه وان كان الثمن مضاعفا وذلك هو نفس مايفعله الغربى .

النصح والارشاد

الغربيون يتناصحون ويرشد بعضهم بعضاً فقد طالما سمعت أحد كبرائهم ينصح مستخدميه فى ادارته ويفهمهم كيف تجب معاملة الناس على اختلاف درجاتهم وتفاوت أجناسهم ودرجاتهم وكيف يجب أن يقوموا بواجباتهم ، وقد رأيته دوما يصلح أغلاطهم ويحثهم على التعلم والترقى ويصبر عليهم صبراً طويلا وهذا هو الخواجه ا . بيس التاجر المشهور فى الصومال الذى يجلب الالمانى والافرنسى والطليانى والروسى والبلجيكى والانكليزى رجالا ونساء فيبعثهم الى الحبشة واليمن لدراسة تجارة الجلد والبن والشمع والصمغ وغير ذلك ثم يوليهم المناصب العالية ويعطيهم الرواتب الباهظة حتى يتقنوا العمل والتجارة . ومنهم من يبقى فى خدمته ومنهم من يستقل وقد صار ماهرا عارفاً بكل طرق التجارة وأسبابها فيكسب المكاسب الطائلة بفضل الخواجه بيس ومدرسته الاقتصادية العظيمة الراقية بكل معانى الرقى والتفوق وأى مدرسة أرقى من ادارات الخواجة ا . بيس فى مختلف الاقطار وأعماله المتنوعة ،

والغربى يغض الطرف عن سقطات أبناء جنسه ويحترم رئيسه ويصبر على عجرفته وخصوصا امام الشرقيين ، وقد اتفق ذات مرة ان قابلت القنصل الهولاندى الذى كان فى جدة عند وصوله الى عدن فى أثناء رحلته الى حضرموت وكانت الاخبار إذ ذاك تترى عن الفظائع التى اقترفها الطليان فى طرابلس فانبرى ذلك القنصل يدافع عن

الطليان قائلا : انهم اناس متمدنون ولايعقل أن يحدث ماحدث على أيديهم . مع أنها كلها حقائق وأظهر من الشمس الشرقية والحق أبلج ، غير أنهم جبلوا على انتحال الأعذار لبعضهم البعض واحتقار الاجانب أو العمل بالمثل السورى «أنا وأخى على ابن عمى وانا وابن عمى على الغريب» وهم فى خارج أوطانهم أشد تمسكا بروابطهم الغربية فلم نسمع قط ان أحد الافرنسيس والطليان أو الانكليز والالمان تخاصموا وتنابذوا بالالقاب لافى الحبشة ولا فى الصين لا كما فعل العلويون والارشاديون فى جاوا مثلا وما ذاك الا لأنهم يفهمون من أين تؤكل الكتف وانه يجب المحافظة على السمعة والشرف والهيبة والوقار التى هى أس نجاح الاستعمار ، ونحن كل يوم نجد الشركات الغربية تتحد على تحديد الأسعار للبضائع وتتفق على رفع أسعار ماتورده وتخفيض أسعار ماتصدره والطالما تركوا المزاحمة والتنافس فأفاض ذلك عليهم سيلا من الارباح

قد يقول بعضهم ان السياسة هى التى فرقت بين الامم الشرقية والشعوب الغربية ولكن الجهل وفساد الاخلاق ساعدا على كل ذلك مساعدة تامة حتى اناك لتجدقوما يفضلون الاحتلال الاجنبي للحجاز وعسير والنجد على بقاء الوهابية والزيود فى هذه الاقطار ! ! قائلين ان الاوروبى ارأف من الملك العربى ! «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا» أفلا يعلموا انهم بهذا المسلك المشين يسيئون الى الشرف الوطنى وبهذا القول المخزى يجرحون الايمان فانه مهما كان فى الملك المسلم من عيوب فانه خير من الاجنبي وان لبس لنا جلد الخروف وماعبد العزيز بن سعود والامام يحيي الا ملكان عربيان مسلمان لو فكر احدهما اليوم (أو كلاهما) ان يضحى تضحية جدية لتمكن من حفظ الاسلام أجيالا عديدة فى واقعة واحدة كما حفظت الاسلام بدر ٥٠٠ عام وحطين ٨٠٠ عام اخرى ، والدين والجنسية والمذاهب لا تؤثر على وطنية القوم فهاهما فان الوزير ديزرائيلى وهو يهودى تولى دفة الامبراطورية الانكليزية اعواما عديدة وادار ولاية الهند اللورد ريدنج وهو يهودى أيضا وقد بقى اللورد هدلى فى البرلمان الانكليزى رغم اسلامه أمدا طويلا واما العرب فعبد العزيز عندهم وهابى والامام يحيي زيدى وغندى فى الهند عند المسلمين هندوكى لا يمكن ان يتزعم عليهم

هـذا هو الحال فى الغرب والشرق والفرق بين الفريقين مثل الصبح ظاهر مع أن النصح واجب دينى من الفروض الاسلامية لقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية. ليت شعرى ماذا عمل المسلمون

بالاسلام وتعاليمه الذهبية ؟ ماذا عمل قابيل بأخيه هابيل ؟ ماذا عمل المسلم بالمسلم ؟ هل نصحه ؟ هل أرشده ؟ هل حن عليه ؟ هل أشفق عليه ؟ هل تألم لآلامه وما أكثرها ؟ ألم يتركه يتضور جوعا يتقلب على جمر الغضى ؟ ألم يتفرج عليه وهو فى أوصابه وأوجاعه لا تأخذه عليه شفقة ؟ ألم يبعه لاعدائه ويشى به ؟ أفما آن أن يقطع وخز الضمير نياط قلبه حزناً ؟ أما آن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ؟

أنا أكتب هذا وأمامى كتاب من صديقى الاستاذ أحمد محمد سعيد الأصنج فى عدن يقول فيه هذه الجملة التى كلما رأيتها تضعضع كيانى وهطلت دموعى كالوابل المدرار وهى : « . . . . . والجزيرة كلها مضطربة والاستعمار يعمل بنشاط لتطويقها : بسور من نار . . . . . »

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم   وبقى الذين حياتهم لا تنفع

ألا ناصح مخلص ؟ ألا مرشد متفانى يعمل فى صالح الدين والوطن ؟ ألا سامع لنصيحة ومصغ اليها ؟ رباه لم تبق الا أنت أرفع اليك يدى ضارعا ان تحفظ مهد التمدن من الدمار ومهبط الوحى من الخراب !

لم يبق شىء من الدنيا بأيدينا   إلا بقية دمع فى مآقينا

المصالح العامة

قسم بعض السادة الصوفية الناس الى ثلاث درجات : قسم وهم الأكثرية الساحقة يعملون لغناء فى النفس ، وقسم وهم الخواص يعملون لغناء فى الخلق ، وقسم وهم خواص الخواص يعملون لغناء بالله لا يبتغون بأعمالهم غير وجه الله لا يريدون جزاء ولا شكورا كالأنبياء وكبار الأولياء وفى قول أرسطوطاليس من الحكمة البالغة مافيه وملخص قوله ان سعادة المجموع هى السعادة التى يجب أن يرمى اليها الانسان أو يجب أن تضحى مصلحة الفرد لأسعاد الجماعة . ولله قول المعرى فيلسوف العربية :

ولو أنى حبيت الخلد فرداً   لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضى   سحائب ليس تنتظم البلادا

الآن الى أى مدى عمل الاوروبيون بهذه القواعد والنظريات ؟

ان الصولة والدولة فى أكثر ممالك أوروبا وأمريكا أصبحت بيد الشعب الذى تنزل

الحكومة ضد إرادته ولا تخالفه ولا ترفض مطالبه – حكومات ديموقراطية ، جمهورية تمثل الأمة ولا تستبد بحقوقها أو تجحف بها خلافاً لبعض الحكومات الشرقية حيث الحاكم لا يدرس إلا مصالحه الشخصية وشهواته البهيمية ، يحتكر التجارة لنفسه ويوطد المستقبل لذريته بصرف النظر عن رغائب شعبه ومصالح وطنه ، وقد قامت في الغرب الحكومات الاشتراكية والشيوعية والفاشية الخطرة لتغلب الجمهور على السلطة حتى أصبحت المدارس عامرة والصحة معتنى بها والأحكام عادلة والشئون الداخلية والخارجية منظمة وحرية الفكر والأديان والصحافة بلغت الدرجة القصوى ووسائل الثراء والرقي مهيأة والدولة مقيدة بقانون ودستور لا يمكنها مخالفته وإلا حدثت قلاقل وثورات إلى أن يعود الحق إلى نصابه

في خلال الأشهر الماضية اضطربت مالية انكلترا واهتزت أركانها ودعائمها وكادت تقضي على مركز انكلترا المالي وتفقدها ثقة العالم بها فسارعت الحكومة إلى عمل اكتتاب لقرض كبير فهرع الناس إلى إقراض الحكومة الملايين من الذهب الوهاج برغم فراغ ذات يدها ، قاموا بهذا بسرور وعن طيبة خاطر ولم تمض فترة من الزمن إلا والدولة قد ملكت النصاب الكامل من الأصفر الرنان فظن الناس في الخارج أن الحكومة الانكليزية ما فازت هذا الفوز العظيم إلا لخوف بنيها على ضياع سمعتهم التجارية وإن ذلك لم يكن إلا نتيجة نوبة وطنية انتابت الأمة الانكليزية ولكن لم تمض أيام حتى قضى البرلمان البريطاني بتخفيض الفائدة على القرض المذكور من ٥ في المائة إلى ٣ ونصف في المائة فقبل الناس السعر الجديد بكل هدوء وسكينة رغم استعداد الحكومة لإرجاع الديون إلى أربابها ولكن الشعب لم يبال بالخسارة التي تبلغ الملايين طالما الربح يتوفر للدولة والدولة تعمل لصالح الشعب ، فانظر لهذه الظاهرة الأخلاقية التي تبعث المرء حيالها مصدوهاً والتي تبرهن للشرقي المسكين على أن قومه إن لم يتحلوا بمثل هذه الأخلاق المتينة فلا بدع أن يقعوا في هوة تحت نير الاستعمار ما شاءت الأقدار

هذا روكفلر الثري الأمريكي المشهور يدفع ١٠٠ مليون من الأصفر المعبود لأعمال الخير والبر من بناء مدارس ومستشفيات ومباحث وملاجئ ومكاتب عمومية ومتنزهات ونوادي وإصلاحات عامة ولو أراد المسلمون لقاموا بكل هذه الأعمال في قليل من الزمان وما عليهم إلا أن يؤدوا الزكاة بأمانة إلى بيت مال يحبسونه لهذا الغرض ولكن ذلك لا يأتي إلا إذا كان لهم ملك عادل ومملكة مأمونة قوية وهذا أيضاً مستحيل الآن والمسلمون لا يضعون فاصلاً بين الأغراض الشخصية والمنافع العامة

طالما رأينا انكليزيين وفيين مخلصين صديقين وقد احتدم الخصام بينهما على موائد البرلمان وفى قاعات المجالس السياسية لانهما لم يتفقا فى المبادىء ولكنهما يعودان الى الصفاء والوفاء بعد مغادرة تلك المجالس بخلاف ماهو حاصل بين العلويين والارشاديين فى جاوا من التباغض والعداء وبخلاف ماهو حاصل بين أهل بعض المذاهب الاسلامية واليك ايها القارىء الكريم حادثة أمر وأدهى وهى ان سعيد باشا القائد التركى لجيش اليمن البطل المقدام والاسد الضرغام كان ايام الحرب فى لحج وكانت تحت يده مؤونة وذخيرة حربية كبيرة فلما وضعت الحرب اوزارها وخمدت نارها سلم الباشا جميع ما كان بيده من مال ونوال للحلفاء ولم يسلمه للامام يحيى امام اليمن لأن الحزازات الشخصية والحقد على رجال اليمن الذين عاملوه معاملة سيئة تغلبت على عقله وحالت دون قيامه بعمل مجيد يكون خاتمة اعماله فى سبيل الاسلام رغم عظمته الشخصية وشهادة التاريخ له بأنه من أجل الناس قدرا وارفعهم عن الدنايا مقاما فقد ظن ان الانتقام هو اعظم ملذات الحياة ونسى ان العفو اشد أنواع الانتقام

ومن البديهى ان المصالح العامة اذا ما لحد الناس على تأييدها أصبحت مصالح خاصة ولذلك كثيرا ما اتحدت اوروبا على قمع شوكة تركيا وزحزحتها من أوروبا ولقد ذكر الامير شكيب أرسلان حفظه الله أنهم تألبوا وتآمروا على تركيا مائة مرة ولولا خوف روسيا من تسلط دولة أخرى على الدردنيل والاستانة ولولا قرار وليم بت ان لا تخرج روسيا الى البحر الابيض المتوسط لكانت خرجت تركيا من زمن بعيد وما أظن مصطفى كمال باشا نبذ شرقيته الا ليقول للافرنج « قد أصبحت منكم فلا خوف عليكم منى » وهكذا توهم انه يأمن غوائلهم ومصائبهم فأن لم يحدث انقلاب هائل فى هذه السنين فلن يمض ردح مفيد من الزمن ألا وقد نفرنج الأتراك عن بكرة أبيهم

ولعل أهم أسباب اتفاق الغربيين وتفرق الشرقيين هى وحدة الثقافة الغربية وتفرق الثقافات الشرقية فقد جاء فى الحديث الشريف « اذا ذل العرب ذل الاسلام » وقد قال دوزى المؤرخ المنصف « لاينهض الشرق الابنهوض العرب » ولعمرى ان المعنى البليغ فى هذا الكلام السديد يستولى على مشاعر المفكر فيقف بعد طول التفكير مسلماً جازماً بصحة الحديث الشريف الصادر عن الذى لم ينطق عن الهوى ومعجبا باستنتاج المستشرق دوزى ، والحقيقة انه لما تولى العرب على نواصى الشعوب جمعاوهم بحسن السلوك واللطف يتبعون مبادىء واحدة وثقافة اسلامية واحدة فكان من أمر المسلمين ماكان ولكن لما تضعضع شأن الدول الأسلامية خذت كل

فرقة بتلابيب الثقافة التي تليها في البيئة التي تحلها ، وهكذا تضعضعت الشعوب الاسلامية لمخالفتها تلك الثقافة البديعة التي رافقتها في حلها وترحالها وفي كل محل ومكان ولذلك نقرر اليوم مرة أخرى ، أنه لا نهوض للاسلام والشرق الا بنهوض العرب ، ويتحتم لذلك ان يقوم الشرق كله لانهاض العرب من كبوتهم حتى تصلح الامور جميعها ويكون ذلك من قبيل التضحية في سبيل الصالح العام .

ان الافرنجي لا يتخلى عن حق من حقوقه مهما كان تافهاً فيحارب على كل شيء وعلى لاشيء حتى لا يضام هو وقومه وهكذا اخذ الانكليز كندا بدم ولف والسودان برأس غوردون باشا والهند بحادثة الغرفة السوداء في «كلكتا» التي اثبت التاريخ انها قصة ملفقة ليس لها من الصحة اقل اثر ، وعدن غنماً لما نهبه العرب من باخرتهم دريادولة وجباى مهراً لعروس شارلس الثاني وكذا قل عن بقية المستعمرين أما الشرقي فانه ولوع بجبر الخاطر وعدم الميل الى المقاومة فهو يتخلى عن جغبوب حسما للخلاف وعن السودان طلبا بالوفاق وعن العقبة رغبة بالسلام وعن المحميات خوفا من الاصطدام الخ فلانا أنه ينال سلامة ظفر من قوم ثم أطلب عباد الله على الاطلاق ناسيا أنه لم ان يقف في وجوههم ووقف الراسيات مطالبا بحقوقه مضحيا بروحه في سبيل استرجاعها ضاع حقه وفقد وجوده

يظن بعض الناس جهلا أو تجاهلا أن الحكومة الانكليزية ستسلم للامام يحيى مابيدها من المحميات غير مجبورة ، والحق انها وعمات لأحسنت الى نفسها وحمت ظهرها من سهام العدو اذا ماقامت حرب شعواء يوما من الايام ولكن الانكليز الذين طوقوا العالم بسور من فولاذ وتكاثرت واجباتهم ومسئولياتهم لم يقرروا سياسة خاصة بشأن اليمن فهم مسيرون بمجريات الاحوال يعملون كل يوم كما يقتضيه ذلك اليوم ، وأما سياستهم العامة فهي احتلال الجزيرة العربية كلها اذا أمكن وقد ملكوا الى اليوم منها سينا وفلسطين وشرق الأردن والعقبة والعراق والكويت ومسقط وعمان وجزر البحر الأحمر وسقطرة وعدن ومحون والنواحي التسع في جنوب اليمن ولهم نفوذ ضائل في اليمن نفسها والحجاز غير مباشر ولم يبق الا ان يتسرب الضعف الى نفوس اليمانيين والحجازيين لاسمح الله فتصبح المملكتان انكليزيتان ، فالذي يطمع بالكل لا يسلم مافي يده منه ودون تسليم المحميات اذن خرط القتاد رغم محاولة الكولونيل جيكب اقناع حكومته بوجوب التخلي عن هذه النواحي وهذا مثل من اخلاق الغربي الذي لا يسلم بالتنازل عن حقوقه واذا ما قاومه أحد أخذه بالخناق وطوقه بالأطواق وأقام عليه الدنيا وأقعدها واستعمل لذلك كل وسائل النشر والبروباغندة كما عمل اللورد

نورنكليف أيام الحرب العظمى ، وحادثة ذبح السر فرانسيس دريك لأقرب أصدقائه في الاطلانطيق يوم ما كسه لا تزال في بطون التاريخ عالقة بالأذهان .

المبدأ

ان من جوامع كلم أمير الشعراء شوقي رحمه الله قوله :

قف دون رأيك في الحياة مجاهدا   ان الحياة عقيدة وجهاد

وكل أمة ليس لها مبدأ تحافظ عليه وتدعو اليه وتذود عنه لأمة جديرة بالسقوط خليقة بالاندحار وماأخرج سيد البشر الأمة العربية من وهدة الانحطاط الأدبي والتسفل السياسي وقادها الى ذروة المجد ومنصة الكمال وملكها ناصية الشعوب وسامها قيادة الأمم الا لأنه قام ومبدأ التوحيد يصدع به غير هياب ، يضرب به وجوه أهل الشرك والالحاد وجاء القرآن مصدقا لما بين يديه وهو يمليه على العرب والعجم وشعاره « لا إله إلا الله محمد رسول الله » يدافع عنها بالمال والروح والولد والعشيرة دائبا في الدعوة الى الله حتى أنزل الله عليه .

« انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما » وقد استمر صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرف اليقين وأنزل عليه الله هذه الآية الخالدة .

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ولكن المسلمين لما تناسوا مبدأ التوحيد العظيم وتضعضعت أخلاقهم ورضخت نفوسهم للفساد انحلت رابطتهم وتدهوروا اذ جعلوا الههم هواهم وغاياتهم شهواتهم .

واذا النفوس تطوحت في لذة   كانت جنايتها على الأجساد

لله أنت يامحمد من نبي صادق وقائد عظيم ومرشد مخلص وحكيم عاقل ومعلم هدانا سبل الرشاد وأنار لنا طرق الخير وحذرنا متابعة الهوى فاستسلمنا للبهيمية والكسل فأصابنا البلاء ، بأبي وأمي أنت يارسول الله ليت عينيك ترى أعمال المسلمين اليوم وقد ضاع مجدهم وفقدوا شرفهم ، نسوا القرآن وأتبعوا الشيطان ، واليك أيها القارىء الكريم بطل حطين الملك العادل صلاح الدين قام في وجه أوروبا باجمعها يدافع عن الاسلام وعن البيت المقدس وقد رأيت ما كان منه واليك ماقاله اللورد اللنبي يوم دخل بيت المقدس

« اليوم هدمنا الصرح الذى بناه صلاح الدين منذ ٨٠٠ سنة » ولقد صدق فان

جهاد صلاح الدين الأيوبي حفظ الإسلام الى الآن في الأمصار والشام وبالأسف والخزي ان يرانا صلاح الدين وقد أضعنا ذلك السؤدد الذي طوح بدمه في سبيل بنائه لنا ، إنه صلاح الدين لقد عمل عمل الأبطال ولم نقدر على المحافظة على ما خلفت لنا من التراث لقد بذرنا تبذيراً وأسرفنا على أنفسنا وأضعنا ما خلفه لنا من مجد لأننا خالفنا المبادىء الدينية والمبادىء القومية ، خالفنا مبدأ القرآن وخالفنا مبدأ المصطفى «المسلم أخو المسلم» وخالفنا أمر محمد صلى الله عليه وسلم «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان» فأحاق بنا أمر الله وأصبح فينا قوم يعتقدون ان الدين ألعوبة وهم مع ذلك ينتسبون الى الإسلام وهو منهم براء وأصبح فينا حثالة يبيعون الأوطان بالأجر الزهيد أعين المسلمين ولم يجد فيهم أمر الله ولا إصلاح رسول الله ولا الرجال الأفذاذ المجددين صدقاً وحقاً ولا أفاد فيهم إرشاد جمال الدين الأفغاني ولا صن يات صن الصيني ولا مصطفى كامل ولا سعد زغلول ولا زعيم الشرق غاندي «لأنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» فأما الإمام يحيى وشعاره وحدة اليمن فأفلح نوعاً أو قل قد أفلح لأنه أبى الى اليوم بالمعاهدات وحدث عن نجاح الملك فيصل وجهوده في العراق ولا حرج وإن أنس لا أنسى تفاني أمير البيان الأمير شكيب أرسلان في خدمة الإسلام والعرب ولو وجد الملك عبد العزيز في أمة مهذبة وشعب مستنير لأتى بالعجائب

أما الغربيون فإنهم من أشد الناس محافظة على المبادىء الوطنية والقومية والأخلاقية والسياسية والعامية ولهم ولوع هائل واعتقاد أعظم بالخرافات والـ ... على هداها ولطالما حافظ المرء منهم على عقيدته حتى يكذبها الحقائق الملموسة التي لا تقبل الشك وقلما تراه يتزعزع وإن خالفه جميع الناس وأما المبشرون فيصرفون ملايين الجنيهات لاستمالة شخص أو شخصين أو لمجرد إفساد عقائد الناس فهل أفلحوا [illegible] وقد صرف المبشرون القناطير المقنطرة من الذهب والفضة خلال الستين سنة الماضية في عمان ولم ينصروا سوى ولد واحد كاد يعود الى حظيرة الدين الإسلامي لو لم يتلافوا الأمر بإرساله الى كتاب الطب في الهند وانكلترا

فهل نرى يعمل العرب أو الهنود مثل ذلك ويصمدون استجداء مثل هذا الصمود ؟ وإذا أردت ان تعرف انهم لا يعملون فانظر الى ما أصاب طرابلس وما احتوى الجزائر ومراكش وفلسطين وما طرأ على بخارى وانظر الى حالة الجزيرة العربية والحبشة والصومال وجاوا والهند والصين واقرأ بعد ذلك كتاب الأمير شكيب أرسلان «لماذا تأخر المسلمون»

تالله فكر في الملكة ماري أمبراطورة الانكليز ترفض ولبوسها أجنبية وكل شيء أجنبي في قصرها وكذا قل عن ملك انكلترا وجميع أعماله وترى الانكليزي

والافرنسى يكرم ابناء جنسه ويولم لهم كما كان يفعل العرب فى أيام العرب الذهبية وعصورهم الجوهرية كلما نبغ فيهم شاعر أو كاتب أو عالم أو فنان يجتمعون حول عقيدة أو نظرية فيذودون عنها بالقوة والسيف وان اصابهم ما أصابهم من تقولات الناس وسبهم حتى تنتشر وتقبلها الناس أو ترفضها بتاتا ، فقد حافظ الاميريكان على مبدأ منرو «اميركا للاميركان» وكان لهم ما ارادوه . وحافظ الغربيون على منع غيرهم من دخول المستعمرات فكان لهم ما اشتهوه واصبحت كندا واستراليا وزيلانده الجديدة وافريقية الجنوبية محرمة على غير الجنس الابيض «الغربى أخو الغربى لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره» والغربيون محافظون على هذه التعاليم ولكننا قد نسيناها بل اننا خالفناها

قمت ذات يوم أعظ فى مدينة التواهى فاستحسن كلامى أحد السامعين من أهالى عدن ولم يكن يعرفنى شخصياً فسأل احد الناس فقال له انى من مصر فأخذ الرجل يطنب فى مدح المصريين وعلمائهم ، ولما قيل له انى فلان احد مواطنيه ظهر عليه التجهم والاستصغار وقال «هذا أعرفه ينقل من الكتب» فلما أخبرت بذلك تذكرت ماقاله أبو العلاء وهو قول معروف . .

وهنا اتذكر حادث فى صفين فانه لم اشتدت الحرب ورفع أهل الشام المصاحف على رءوس الرماح وكثر اللغط تكلم كثير من القواد فى جيش الامام على ثم نهض الاحنف بن قيس فقال كلمته المشهورة ومنها

« . . . ولم نقاتل القوم لنا ولا لك وانما قاتلناهم لله فان حال امر الله دوننا ودونك فاقبله فانك أولى بالحق وأحقنا بالتوفيق ولا أرى الا القتال »

فما أعظم هذه النفس الشماء التى تقاتل فى سبيل الله وتتعصب لما تعتقده حقاً وتجاهد دون المبدأ ، فأين مثل هذه النفوس الكبيرة وهذا الانسان ؟

حرية الفكر

قام المسيح عليه السلام داعياً الى التوحيد بأمر ربه فصادف من المعاكسات العظيمة والمقاومات العنيفة مامنعه عن نشر الدعوة كما كان يحب ويرغب لأن اليهود حالوا بينه وبين قيامه بالعمل فى نطاق فسيح وكذبوا كل ماجاء به اليهم من الآيات والمعجزات مع انه عليه السلام آمن بكل ماجاء فى التوراة وكانت نهايته ان حكموا عليه بالصلب

فرفعه الله وحماه من كيد الخائنين . وقد كانت المسيحية تدعوا الى عبادة الديان وتبين للناس ان الخلق كلهم عيال الله لا اليهود فقط ولما أعلن اليهود انهم صلبوا المسيح « والحقيقة أنهم ماقتلوه ولاصلبوه ولكن شبه لهم » تفرق أصحابه فى الفلوات ولم يجتمع شملهم مرة أخرى بعد أن انفرط عقدهم الابعد مرور ٣٠٠ سنة وصادفت دعوتهم منذ ذلك آذانا واعية ولكن رؤساء الدين أودعوها ألغازا لاتفهم جعلت من جاء بعدهم من الرؤساء يمنع الأمم عن درس الفلسفة والمنطق والعلوم والفنون ومناصبة العلماء العداء اذ كان الخوف سائدا من ان العلم سيقضى القضاء المبرم على الكنيسة وقد فعلوا فعلتهم الشنيعة فى أسبانيا أيام محاكم التفتيش التى سودت صحيفتهم طول الدهر فلما ظهر الاسلام كان من أهم مبادئه حرية الفكر حتى ان الانسان لايكلف بالقيام بواجباته الدينية الابعد بلوغ سن الرجولة والتمييز بين الغث والسمين ومعرفة الحقائق بالفحص والتمحيص وهكذا سار الاسلام وأهله يتفكرون فى الكون وغرائبه حتى انتشر الاسلام وأخذت الأمم بثقافته التى طغت على أوروبا فقضت على جمودها وكسرت قيودها وخرج الغربيون بعد ذلك وهم أشبه بمن يخرج من عقاله وأخذت حرية الفكر وحرية القول طورا جديدا فى الدنيا حتى قضت على الرجعية البيزنطية والبابوية وأصبحت أوروبا غير من كان يعرف الناس فأصبحت اليوم وقد قضت على سلطة البابا الزمنية ونبذت الدين المسيحى وراء ظهورها تقريبا ولابد من أن نفكر فى اعتناق دين آخر مريح للأنفس من عبث الدهر يجلب للأرواح السكينة والطمأنينة والأمل . ومحور بحثنا الآن سيكون فى الفوائد المادية التى جنتها أوروبا من حرية الفكر فى ربوعها لنعرف واجب تلك الحرية الفكرية حرة أو جعلها مقيدة بالكلية :

كان البابا معدودا فوق الذنب أى معصوما وكان الملك فوق الشريعة وقوله قول الله والبابا نائب المسيح على الارض يمنح إذا أراد قطعا فسيحة فى الفردوس ويغفر الذنب لمن يشاء ولكن احتكاك أوروبا بالعرب فى الاندلس وسوريه وفلسطين هدمت صروح هذه العقائد فانها لما تحررت الافكار من قيودها الثقيلة وجد الغربيون ان هذه آراء لاتستقيم أمام النقد ولاتنطبق مع المنطق وهكذا قامت حرب شعواء بين الكنيسة والعلم أولا ثم أعقبتها حرب أخرى بين الحرية والاستبداد وفاز العلم وفازت الحرية فكانت حرية الفكر سببا فى انقاذ أوروبا من ويلات الجهل وظلمات الرجعية وأخذ الناس عقب ذلك ينتقدون الانظمة ومجالس الشورى وكتب الأدب وأقوال العلماء ونظريات رجال الاكليروس وتضاربت الافكار وظهرت الصحافة بأبهى حللها

وكان للنقد البرىء أثره الخالد فى تقدم أوروبا أدبيا وسياسيا وأخلاقيا

ولكن الحرية بكل معانيها طغت، وبغت فى الغرب حتى تحررت النساء ونافسن الرجال على منصات القضاء وفى المستشفيات ودور الصناعة والمعامل وإدارات العمل وقد بدأت الأيام تظهر فساد هذا النظام ولكن لابد من التريث للحكم على ذلك نهائياً والبلشفية الخطرة والفاشستية والاشتراكية المتطرفة كلها نتائج لحرية الفكر وأنى من انصار حرية الفكر، تلك الحرية التى سار على سننها النبى وأصحابه من بعده والتى قام على دعائمها عصر العباسيين الذهبى وعصر الامويين الأندلسى أما العصر الاموى بالشام فقد ضغط على حرية الفكر كثيراً لأسباب سياسية، بيد أنى أرى الحرية التامة تؤدى حتما الى الفوضى والمادية ولابد من قوة أو وازع يجعل هذه الحرية تسير سيرا حكيما كما هو الحال فى كثير من ممالك الغرب ولو أنه لايزال ينقصها النظام الصحيح والروح الدينية المؤدية الى أعلى درجات الكمال.

والسياسة هى أشد الاسلحة فتكا بحرية الفكر لأنها تقضى بالاستبداد التام والمستعمرات الاوروبية هى أنطق الشواهد على نتائج الضغط الذى ترك الشعوب الشرقية من عرب وصومال وهنودوصينيين وجاويين فى أحط درجات الجهل وفساد الاخلاق لأن الاستعمار سلط الصعاليك والاسافل على الاشراف الاماثل وخذل الشرف والمجد وبدد التاريخ المجيد حيث حل وسكن. وجعل الادنياء يتطاولون على السادات أهل الفضل وأهل الارض وأهل الدولة وبذلك تضعضعت الاخلاق واقتدى الناس بأدنيائهم وهم الادنياء لايراعون شرفا ولا كرامة لأحد، وقد شاهدت اثناء تجولاتى بيوتاً شريفة وقبائل محترمة أصبحت تحت أقدام الهوان فى المستعمرات يتضور أهلها جوعا من قرص الفقر والفاقة والذين كانوا لهم عبيدا وخدماً صاروا «است فى الماء وأنف فى السماء» كأن الله اورثهم الارض يبيعونها الاسيادهم المستعمرين طالما اجوافهم ملآنة بالخبيث، قاتل الله الاستعمار فقد قتل الشرف وأباح الخيانة وكافأ على المنكر

التجلد

يحكى أن أحد اولاد الامام على رضى الله عنه دخل على معاوية وهو على فراش الموت فاستقبله معاوية بنشاط وهمة كأنه فى أبهى حال العافية ، ولما غادره الزائر سقط على فراشه منهوك القوى ، ولما سألوه عن سبب ذلك السلوك أجاب :

وتجلدى للشامتين أريهم   أنى لريب الدهر لا أتضعضع

وهى سياسة عظيمة نرى اليوم معظم الرجال يعملون بها ، فكم من تاجر أشرف على الافلاس ولولا تجلده وتظاهره بالقوة لسقط سقوطا لاقيام بعده . وكم من مرة رأينا انكلترة ثابتة أمام السكوارث ثبوت الراسيات كأنها من الصخر الصلب لا تزعزعها السكوارث ولا تهمها النقابات ولو إنها فى أشد الحالات خطورة كما حصل ابان الحرب العظمى حين أشرفت على الانحدار اذ كان اللورد نور ثكلف يكابر ويشيع فى اقطار العالم ان انكلترا أقوى الأقوياء فهى تناضل وأحيانا تتجاهل وتخاتل ولا تسلم ، فاما أن يسلموا عند اليأس التام وتفوز عليهم أجمعين أو تسلم اليهم نهائيا كما كان حالها مع ارلندا فى الأيام الأخيرة ومع الولايات المتحدة من قبل

ان الغربى رجل صادق العزم ثابت الجنان لا يتطرق اليه الخور ولا الوهن ولا يمل ولا يكل من العمل ، تراه دائماً نشيطاً مهتما بعمله مجتهداً فى اتقانه حتى لطالما سقط بعض ضباط نابليون الأول من جور الأشغال المتواصلة فلا يهتم بذلك أكثر من الأمر بحملهم الى المستشفى والاستمرار فى جهاده ، وقد لاحظت فى الدكتور رعطا حسين مثل هذا النشاط ، وكذا قل عن الخواجة بيس فانه يعمل أحيانا ليلا ونهاراً عملا تاماً متقناً يجعل الانسان يعجب به وبنشاطه العظيم ، وقد يشعر الغربى بالتعب ولكنه يتصبر حتى يتعود التعب فلا يعود يشعر بفتور أبداً ، وعلماء النفس يثبتون أن العادة اذا ما استحكمت صارت طبعاً وأن الاعصاب تستعد بعد العادة للقيام بالعمل وان كان منهكا للقوى ، وأحسن الأمثال لذلك الحمال الذى يحمل الاثقال فهو يحمل سحابة يومه وطول ليله أحياناً لا يفتر يوماً عن ذلك العمل المتواصل مع ما فيه من التعب حتى ولو أدركته الشيخوخة . كنت ذات مساء فى دار التمثيل العربى فى عدن وكان معنا رجل أجنبي كان فى ماضى أيامه ضابطاً فى الجيش الانكليزى يدعى المستر بنيل ، فعند مابدأ التمثيل أخذ بعض الأوباش خارج المسرح يقذفون الاحجار على سقف الدار من الخارج ، وكان السقف من الصاج المضلع فيقع له دوى يصم الآذان فيتأثر له كل من حضر من عرب

وهنود وغيرهم ، ولكن ذلك الضابط الانكليزى بقى منهمكا فى ملاحظاته لايتأثر بما هو واقع حوله ، فقلت فى نفسى ان رجلا تعود سماع قصف المدافع ودوى المفرقعات لايهتم بوقع حجارة على سقف الدار ، ولكن القذف استمر الى منتصف الليل وقد حصل للناس تنغص وانزعاج — وقد تكدر صفوهم — فاخذوا يشتمون أولئك الرعاع الذين أساءوا الأدب الى ذلك الحد ، فلما كثر الهرج قال ذلك الضابط ببرود وهدوء ان سبب هذا هو اهمال البوليس ، وعندئذ فهمت سر بروده وسكونه وعدم اكتراثه بما هو جارى ، فقد عرف الرجل لاول وهلة سبب ذلك الاخلال بالنظام وعرف ان الدواء الوحيد له هو عدم الاكتراث به ، وقد قرأت ذات مرة أن افرنسياً من المستخدمين فى أحد القطارات رأى شنطة موضوعة على طريق الركاب أمام راكب من الانكليز فأخذ يؤنبه على ذلك بصفة مزعجة ولكن الانكليزى لم يبال به وترك الشنطة حيث هى ومر المستخدم مرة اخرى وثالثه وكان فى كل مرة يطالب الانكليزى برفعها ولكن الانكليزى ظل يقرأ فى جريدة كانت بيده فحنق الفرنساوى وقذف بالشنطة خارج القطار وهو يسير باقصى سرعته فتزحزح الانكليزى قليلا عندئذ وقال له انها ليست شنطتى ! فتذكر كم كان خجل الافرنسى وندمه على تسرعه وعدم تحققه اولا هل كان الانكليزى هو صاحبها ام غيره ، وكان برود ذلك الانكليزى وصبره طول الوقت على عجرفة الافرنسى مؤدبا له أدبا يذكره طول عمره ، وهكذا فانا نسمع كل يوم اصوات الالوف من البشر تطالب الحكومات المستعمرة بحقوقها ولكن « من يقرأ ومن يسمع » فان تلك الحكومات لاتعيرها اهتماماً حتى تبح الاصوات ويقنط الناس ويصيبهم اليأس ، وبمثل هذا البرود القتال يجبرون ذوى النفوس الثائرة على الانسحاب والاستسلام . وهم بالصبر وطول الاناة طالما حققوا المستحيل لان كل عمل يقومون به يبنونه على أساس متين

قرأت ذات يوم ان رجلا انكليزيا اخذ يدرس كيفية نوع من النبات ٢٠ سنة ثم يصور ذلك النبات فى أول يوم من شهر مارس من كل سنة مبتدئا من ١٩١٢ م وختم ملاحظاته فى ١٩٣٢ وقد ظهرت تلك الصور فى مجلة اخبار لندن المصورة وهى تختلف من سنة الى اخرى وتتفق قليلا فى بعض السنوات . وقرأت مرة فى اللطائف المصورة ان شيخاً انكليزيا قضى اياماً طويلة يصور نوعاً من الطير وكيف يفرخ ويبيض فكم من الصبر والهدوء يحتاج مثل هذا العمل ؟ وكم من الجلد أيضاً ؟ وان تعجب فاعجب لقوم يغوصون الى اعماق الباسفيك لدرس حياة الحيوانات البحرية للاستفادة من العلوم والملاحظات التى تعود على الناس بالمنافع الجزيلة

ان طريقة ملاحظة الانسان لغيره وملاحظته لنفسه تعتبر عند اكثر علماء

النفس اولى من نظرية علم السلوك الانسانى لان الانسان اذا لاحظ نفسه ودرس سلوكه عرف عندئذ حقيقة الوجود وقدر شعور الغير واستنتج رغائبهم وأخلاقهم فى مرآة نفسه . وملاحظة الحيوانات تفيد كثيراً ، وقد شجعنا القرآن على درس حياة الطير وقد قال لنا سبحانه وتعالى فى قصة قتل قابيل اخاه هابيل « فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين »

وقد استفاد الغربيون من نظرية النشوء والارتقاء فوائد محسوسة ، وتوصلوا بعد أن عرفوا أن الانسان والحيوان من أصل واحد، إلى معرفة كثير من الغدد وأثرها فى الصحة البشرية ، ولذا نجدهم قد عمروا المراصد وصرفوا عليها الملايين من الجنيهات لدرس الرياح والأمطار والطقس والزوابع والزلازل والمناخ والمد والجزر والنجوم وغير ذلك فى أمور الكون خلافاً لما هو الواقع فى الشرق غالباً ، فقد سافرت مرة فى ركب فيه رئيس بلدية عدن السيد طيبجى وجناب السيد عبد الله علوى الجفرى الى « أبين » وعند العزم على الاياب راجعنا دفتر التسجيلات للمد والجزر فوجدنا أن المد يبتدىء الساعة الرابعة مساء إلى مابعد نصف الليل فقررنا أن نؤخر الرجوع إلى الصباح لئلا نقع فى وسط اللجج إذ لا طريق لنا سوى شاطىء البحر

ولكننا شاهدنا عدداً كبيراً من الحوانين العرب — أى الصيادين — راجعين إلى بيوتهم ، ولما سألناهم عن المد قالوا انه فى تلك اللحظة يأخذ فى الجزر وكان ذلك مخالفا بالكلية لما يدنا من التقريرات فأخذت الأصوات تتكاثر علينا أن نأخذ بكلام الحوانين بحجة انهم أهل خبرة ومعرفة بالبحر وشؤونه وهكذا اضطررنا أن ننزل عند ارادة رفاقنا بعد أن حاولنا أن نثنيهم عن تلك المجازفة ولكننا وقعنا بعد ساعتين فى خطر الغرق ولولا لطف الله لما خرجنا الا إلى القبور ، وكل هذا نتيجة عدم الملاحظة الفنية من الحوانين الذين قضوا سحابة الحياة فى ساحل البحر بدون طائل ، وظلوا يجهلون أبسط الأمور بالنسبة اليهم وأكثرها بهم علاقة .

تقديرهم للخدمات

ان الاهتمام بعلم النفس رقى باوروبا إلى أعلى مراكز التمدن وبه توصلوا إلى القبض على ناصية البشر ، ومن اعجب مايذكر عنهم أن الرجل إذا خدمهم باخلاص فانهم يقدرون ذلك له ، ولذلك أسسوا نظام التقاعد ورواتب الشيخوخة

ومما يذكر أن صلاح العزيبي خدم الانكليز عند احتلالهم عدن فكان منهم أن استخدموا ولده عمر صلاح بعد موته إلى أن مات وقد استخدموا اليوم حفيده محمد عمر صلاح وان تكن وظيفته خادم بسيط ، ثم جادوا بالألقاب لاجتذاب القلوب حتى لقد كان الهندي يطوح بنفسه فى المهالك حباً بأحد الألقاب ، وبما أن الأنفس جبلت على الأثرة وحب النعيم الباطل والملذات الدنيوية الزائلة فان هذه الألقاب وروانب التقاعد قد وطدت قدم الاستعمار فى العالم ويحكى أنه لما وصل وفد نجران ليجادلوا النبي عليه الصلاة والسلام قال لهم : « قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله » فصعق الوفد لروعة هذه الآية الربانية وما احتوت عليه من حق لا تهدمه نوازل الدهر ولا كوارث الحدثان لأن مابعد التوحيد بالله وعدم الاشراك به الا الكفر الصريح ، وقد قال أبو حارثة رئيس الوفد : والله لقد تأثرت بما قاله محمد فقال له صاحبه ومالك لا تؤمن فقال ألم تر هؤلاء القوم يعني الروم كيف أحسنوا الينا ووثقوا بنا وجادوا علينا بالأموال الطائلة والرفاهية فاني لا أجد فى نفسي دافعاً لخيانتهم . وما صرفه عن الايمان الاشهواته وأنانيته فعاش يرافقه وخز الضمير طول حياته .

فرق تسد

جاء النبي عليه الصلاة السلام الى المدينة فآخا بين المهاجرين والأنصار وربط اليهود (بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير) بعهود ومواثيق قبلها اليهود فى أول الأمر متمنين أنهم سيتمكنون من اجتذاب النبي لينصرهم على النصارى ولكن محمدا العالم الرباني والسياسي الروحاني وضع أساساً متينا لانضمام العرب من قريش ومن الأوس والخزرج فذهبت جميع محاولات اليهود للتفريق عبثا ، ولما ذكروا يوم بعاث وأوقعوا بين الأوس والخزرج مرة خرج عليهم النبي وذكرهم ووعظهم حتى بكوا وندموا وتعانقوا وصاروا اخوانا ، ولكن لما أخذت الاغراض تلعب بالعرب تفرق شملهم ، والاستعمار اليوم لم يبق هذا الزمن الطويل ثابت الاقدام الا بفضل سياسة التفريق بتسليط الادنياء على الأشراف واشباع نهم الجائعين والاصغاء الى الوشايات من الخائنين الاشرار الهنود اليوم فى حرب مستمرة تارة يقوم المسلمون على الهندوس وتارة الهندوس على المسلمين فترى الطوائف الهندية متقاتلة متفرقة متباعدة وكذا قل عن العرب

والجاويين والصينيين والصوماليين الخ لأن الاستعمار لا يعيش يوما اذا اتحدت الأمة وعرفت مصلحتها ، والحقيقة ان الاهواء فى هذه المعمورة ليس لها حد والمطامع ليس لها شكيمة ، وقد جبل الانسان على خلق الاعذار للاستئثار بكل مايروقه من مباهج الحياة والقوة تلجأ كل لحظة الى الحيلة والعنف والظلم والاستبداد لهضم المساكين الضعفاء غير عابئة بما تقترف من جرائم وآثام لتصل الى غايتها وتتربع على دست الشرف وتقبض على ناصية الوجاهة والافتخار وتتحكم فى الناس على هواها قائلة ان الغاية تبرر الواسطة ، وهاهى تلك القوة الغاشمة قد سخرت الناس فى احراز المجد لنفسها والرفاهية لأهلها واستقلت بخيرات الممالك ومنافع الدنيا وتلاعبت بحقوق البشر وعبثت بشعور الانسان وقد كلفته المشاق الهائلة فى سبيل انماء ثروتها واحراز الرفعة والنبل والعظمة ، فاستفرغت الكنوز واستخرجت الدفائن واستنزفت خيرات الأرض واحتكرت التجارة وأثقلت الكواهل بالمكوس والضرائب والربا الفاحش مما يذيب الفؤاد ويثير الأحقاد مع أن أراضى العالم واسعة لملايين البشر فوق الذين يسكنونها فهذه استراليا يمكن أن يعيش فيها ٣٠٠ مليون شخص ولكن أوروبا أبت أن يسكنها أكثر من ٦ ملايين ، وهذه كندا وافريقيا الجنوبية وغيرها ولولا ضن الغرب وطمعه واستبداده لما سلط الناس بعضهم على بعض ودفن الرحمة بين براثن الشح ومخالب الظلم حتى أصبحت العواطف سقيمة جافة فلا تقع العيون الا على مايجرى مدامعها ولا يقع فى الآذان الا أصوات المظلومين وأنات المنكوبين المكبلين بقيود الجور وسلاسل العسف والعنف التى تنصب الحبائل كل يوم لامتصاص دماء البشر والمشانق كل لحظة لاختطاف أرواح الأحرار ، وهكذا سادت وشادت ولكن الظلم مصرعه وخيم ولابد له من نهاية ، واذا لم يقلع الغرب عن غيه فلابد أن تنزل به النوازل وخير لأوروبا أن تقتدى بالعرب الذين اسنهروا الدنيا لصالح أهلها فدونوا بالتبر على صفحات الأيام وفوق جبين الدهر آيات خالدات من محاسن الذكر وروائع المجد مما لايقوى الدهر على طمس أثره أو أخلاق جدته .

الخاتمة

إن أوروبا غنية بمعادنها ومناجمها ومناخها وأرضها الخصبة وأمطارها الغزيرة وخيراتها الكثيرة ومصانعها النشيطة وغناها الطبيعى بكل معانيه ومن كل وجوهه تقريبا ، و فوق ذلك فان موانيها كثيرة وحصينة ومصونة وضعتها الطبيعة فى حرز منيع

يقيها الرياح والأنواء ولكن أوروبا كانت قبيل بضعة قرون تتخبط فى دياجير الجهل وترسف فى قيود السلطة الكهنوتية وتعانى ويلات الأغراض ومصائب الاهواء إلى أن انتشرت ثقافة العرب من جامعات الأندلس ووقعت الحروب الصليبية عندئذ أخذت المدنية الغربية تتطور وتسير سيرا حثيثامستضيئه بنور العلم مسترشدة بسراج الأخلاق ، فاوروبا لم تقم إلا بالعلم ولم ترق إلا بالأخلاق . وقد يقول قائل إن لأوروبا الفضل فى الرقى المشهود فى مصر وسوريا والعراق وفلسطين وتونس والجزائر والهند وإيران ولكن الحق الذى لا يأتية الباطل هو أن اليابان بلغت إلى ما بلغت اليه لأن أوروبا لم تستعمرها ولم تدخلها فتجعل أعزة أهلها أذلة ، ولولا أوروبا لكانت الحضارة فى الشرق غير ماهى اليوم ولكان الناس أسعد حالا وأروح بالا ، لأن المدنية الأوروبية أحدثت رقياً ماديا صرفا وهو خلاصة تفكير شعب واحد ولوكانت الشعوب الشرقية طليقة حرة لبلغت المدنية البشرية مستوى رفيعاً ولتقدمت الانسانية كثيراً ولما نكبت بالويلات والأرزاء التى تئن من آلامها الساعة لجشع أوربا الهائل التى تبيح لنفسها كل وسيلة لبلوغ غايتها واشباع نهمها خلافا للشرق مهبط الوحى ومهد التمدن حيث الشرق لايزال يتغذى بالمبادىء الروحية التى كفر بها أكثر الغربيين وتهكموا على منتحليها « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »

أن أوربا اليوم تكافح كفاحا يستنزف كل قواها وكل لبيب يرى أن أوربا أخفقت فى القرن الماضى إذ فيه نكصت إيطاليا على أعقابها أمام الحبشة ثم تدهور الجيش والأسطول الروسى أمام اليابان سنة ١٩٠٥ وخربت أوربا فى حرب سنة ١٩١٤ـ ١٩١٨ بل تلك المجزرة البشرية الهائلة ، وصعق اليونان ومن خلفهم انكلترا أمام الأتراك وقد استقلت اليمن ونجد والأفغان وإيران وراحت أرلندا من الامبراطورية البريطانية وهاجت الهند وانتبهت مصر وانفصلت العراق وسيقضى على الصهيونية والوطن القومى إن شاء الله

ثم أخذت الأزمة الاقتصادية بخناق أوروبا وانشقت عنها روسيا وأخذ الأسبان يقدرون فصل العرب وأصبح العالم فى حالة انقلاب مدهش ، وكل ذلك الانهزام راجع الى اسباب أهمها :

شرب الخمر . ضعف الدين . الطمع . الظلم . الغرور . الخلاعة . الأثرة . فانهذه هى اسباب انحطاط أوروبا وفشلها الحاضر فاما ان يقوم الشرق على اقدام ثابتة أوفقل عليه السلام . هذا وغيرخاف ان الصعاب كلماتجسمت أمالت الساعى الى الاحجام وأفعدته

عن الاقدام ، فاذا كان صبورا جلداً عاقلا وطن النفس على اقتحام الاخطار ومقاساة الأهوال لاتتكل عزيمته ولايني جهده حتى يبلغ غايته المنشودة وان طالت الأيام وعظمت النفقات مع العلم ان كل عمل لايخلو طريقه من المزالق والعقبات وانه لافوز الا للهمام المقدام الجسور الطماح صاحب النفس الجبارة والارادة الحديدية وفى الختام أقول : إن تأخرنا عن مجاراة الأمم النبيهة ناشيء عن كلال فى مضائنا وخور فى انفسنا لاعن خمود فى حميتنا اوقصور فى فهمنا . والشاهد هووجود رجال بين أبنائنا تتيه بهم المحافل ويشار اليهم بالبنان ، وسبب كل هذا التقهقر هو اعتمادنا على سوانا فى جميع اعمالنا وتواكلنا أمام المساعى المهمة وآخر نصيحة أقولها لأبناء الشرق هى ان يدربوا صغارهم على إدارة شؤونهم منذ الطفولة ليتدرجوا فى سبيل الاعتماد على انفسهم فى كل أعمالهم وفى جميع مراحل الحياة ، لأن الرجل وإن شاخ وكبر فانه يجرى على ماتلقنه فى المهد واقتبسه أيام طفولته فاذا نشأ على الجبن وضعف العزيمة والاتكال على الغير نزل الى ميدان الجهاد وهو كليل الهمة هياب من المصاعب مريض الفكر سقيم الرأى عاجز عن إدارة شؤونه . أما من رباه الزمان وحنكته الأيام فانه يزداد بأسا كلما عزت المطالب وتراكمت المصاعب ، حتى يتربع فى دست المجد ويعلو على هام الدهر

وانى أقدم شكرى وخالص امتنانى لاخوانى أعضاء نوادى الاصلاح العربى الاسلامى فى عدن والنواحى والشيخ عثمان الذين تكرموا بالاصغاء إلى فى نواديهم الموقرة والفضل يعود لهذه النوادى التى لولا رغبتى فى تثقيف اعضائها لما كنت أقدمت على وضع هذا الكتاب الذى حشى عليه صديقى الشيخ على بن أحمد با كثير الكاتب النحرير والشاعر الكبير . وقد كان تأليفه فى أيام معدودة وفى ساعات العمل المتراكم ، ولذلك يجدر بى ان أطالب من القارىء الكريم ان يسبل على العثرات ثوب المعذرة لأنى لست من علماء الأخلاق ولا من فلاسفة علم السلوك البشرى ولكن الفكرة مهما كانت تافهة فانها لاتخلو من فائدة ، وجل قصدى ان ينتفع قومى بهذا الكتاب والله الموفق للصواب والسلام

محمد على ابراهيم القماله

بربرة « الصومال »　　　　سنة ١٣٥٢ هجرية

فهرس

نظرات الشورى

فى الاحوال الشرقية الحاضرة

تأليف

محمد على الطاهر

هو الكتاب النفيس الذى وضعه الأستاذ الطاهر صاحب جريدة الشورى فى خلال احتجابها الوقتى ، ففيه تجد الفصول السياسية والنقد الأدبى والنقد الاجتماعى والنقد الاخلاقى والنقد السياسى وشرح ظلم الاستعمار الخ وهو يباع بـ ١٠ قروش ويطلب من الاماكن الآتية :

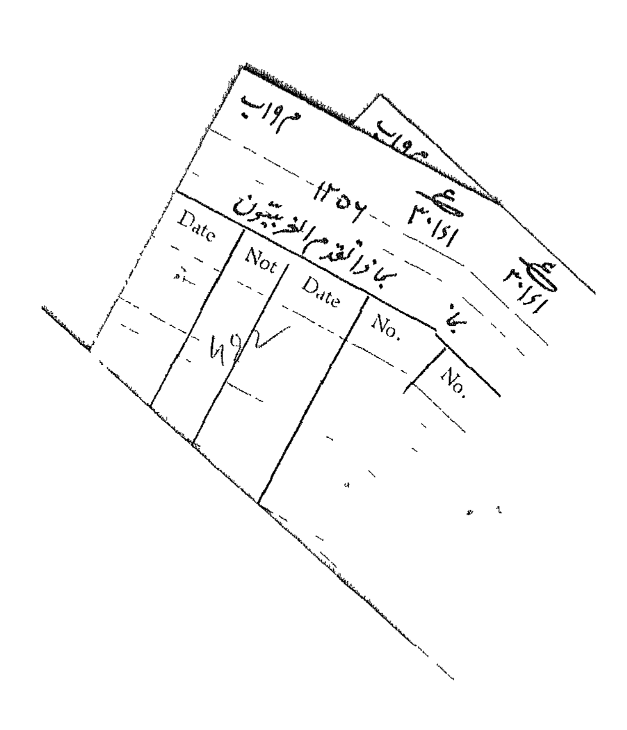
مكتبة ومطبعة السادة عيسى البابى الحلبى وشركاه والهلال وهندية والتجارية والمكتبة الألمانية بشارع عماد الدين بمصر

والمكتبة النبهانية بسورابايا — جاوة

ومكتبة السيد عبد الله بن عفيف بشربون — جاوة

وجريدة الهدى بسنغافورة

وسيظهر له قريباً كتاب « خطرات الشورى » وهو شقيق كتاب النظرات وسيكون على منواله ومثاله



Date
Not
Date
No.
No.